جامعة بجاية

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

عنوان المذكرة :

الملكة اللّسانية عند كلّ من "ابن خلدون" و"مالك بن نبي" دراسة مقارنة

مذكرة مقدّمة لاستكمال شهادة الماسترفي اللغة والأدب العربي

تخصص: علوم اللّسان.

إعداد الطالبة:

* فوزية بوناب .

إشراف الأستاذة:

* سميرة مهلول.

السنة الجامعية : 2016/2015

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ،
وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ
الْفَائِزُونَ﴾

صَدَقَ اللَّهُ الْعَظِيمُ

تشكرات

إلهي لا يطيب اللّيل إلاّ بشكرك ولا يطيب اللّيل إلاّ بطاعتك... ولا تطيب اللّحظات إلاّ بذكرك... ولا تطيب الآخرة إلاّ بعفوك... ولا تطيب الجنّة إلاّ برؤيتك.. فألف حمد وشكر لك يا ربي فلولا إعانتك لي لما أكملت عملي هذا ...

الحمد لله

إلى من بلغ الرّسالة وأدّى الأمانة.. ونصح الأمّة.. على نبي الرّحمة ونور العالمين سيدنا مُحَمَّد ﷺ.. الحمد لله لأنّك كنت أفضل قدوة لنا... ونحن ننتظر **شفاعتك يوم القيامة...**

للّتي تفضّلت بالإشراف على هذا البحث وقدّمت لنا العون ومدّت لنا يد المساعدة وزوّدتنا بالمعلومات اللّازمة.. وكانت نورا يضيء الظلمة التي كانت تقف أحيانا في طريقنا.. فجزاها الله كلّ خير ولها منّا كل التقدير والاحترام

الأستاذة سميرة مهلول

لأساتذتنا الكرام الذين قدّموا لنا الكثير.. باذلين بذلك جهودا كبيرة في بناء جيل الغد... لتبعث الأمّة من جديد... ومهّدوا لنا طريق العلم والمعرفة.. فتحية تقدير إلى **جميع أساتذنا الكرام**

لكل من ساندني من قريب ومن بعيد على مواصلة مشواري الدراسي حتى **ولو بسمة أمل...**

وفي الأخير أقول

كن عالما... فإن لم تستطع فكن متعلّما.. فإن لم تستطع فأحب العلماء... فإن لم تستطع فلا تبغضهم

إهداء خاص

للّذي جعل الله له في قلبي مسكنا، وفي نفسي طمأنينة.....

وفي حديثي فخرا واعتزازا ، وللّذي لا يظهر بيني وبينه تنافر في الخلق ...

ولا تباين في المزاح ولا اختلاف في الطّبائع...

للّذي قال فيه الله سبحانه وتعالى﴿ **الرجال قوامون على النساء بما فضّل الله بعضهم على بعض** ﴾

والذي وجدت فيه أثر حديث نبينا محمد صلى الله عليه وسلّم

{استوصوا بالنساء خيرا}

مع تحية التقدير لجهده المضني معي، منذ أن التقينا معًا.....

ومع تحية الإعزاز لوقوفه لجواري، وإسهامه العلمي الايجابي، نابعا من ذكائه وكأنّه نوع من الالتزام....

إلى الذي ارتحلت إليه روحي لتعتنق روحه العذبة....

بقلم الباحثة

إلى زوجها..... ياسين

إلى ابني حبيبي كتكوتي **الصّغير علاء الدّين**

منتديات ورد الفضة
ward2w.com

إهـــداء

إلى القلب الناصع بالبياض.... نور عيني

أمي

إلى القلب الكبير .... أمل حياتي

أبي

إلى القلوب الطّاهرة الرقيقة..إلى رياحين حياتي ...إخوتي وأخواتي

وبالأخص الصغيرة شافية

إلى عائلة احتضنتني بعد عائلي.....

عائلة زوجي... خاصة والديه الكريمين

إلى من جمعتنا الحياة سويا منذ زمن طويل صديقتي الوفية ...

سعاد مقراني

المـقدمــة :

الحمد لله رب العالمين، الذي علم آدم الأسماء كلها، وعلم الإنسان ما لم يعلم، وأنعم علينا بالقرآن والصلاة والسلام على رسوله الأمين، أفصح الخلق لسانا، وأعذبهم بيانا، وعلى آله وصحبه أجمعين أكرم بهم أنصارا وأعوانا وبعد .

يتناول هذا البحث الملكة اللسانية، مفهومها وموقف اللّغويين العرب من عملية بناء الملكة وتكوينها، كما يعرض بعض المحاولات للغربيين في بناء ملكة لسانية، ولا يمكن التحدث عنها دون التّطرق إلى قضية اكتساب اللغة التي تحتل أهمية بالغة في إطار الدراسات اللسانية الحديثة، والذي يقصد به التّعلم المباشر للغة أو أخدها تلقينا، أمّا الملكة فهي صفة راسخة في النفس، أو تعبير إنساني يختلف من شخص لآخر، ويختلف حتى في اللغة الواحدة ولكن الكل يعبر عن نفس الغاية وحتى إن عُبِّر عنها تعابير ولغات مختلفة .

وإذا أردنا تعريف الملكة، فلا نجد لها تعريفا واحدا موحدا شاملا، إذ لها عدة تعاريف متنوعة ومتعددة، تعكس مدى تعقيدها وعمق أفكارها وصعوبة الإحاطة بها .

فالسؤال الذي يطرح نفسه في هذا العدد: ما هي نظرة كل من "ابن خلدون " و"ابن نبي" حيال الملكة اللسانية ؟ وما هي آراؤهما فيها؟ وفي ما تكمن أوجه التشابه والاختلاف الموجودة بين " ابن خلدون " و" ابن نبي " حول الملكة اللسانية ؟.

تعود أسباب اختياري لهذا الموضوع للأهمية القصوى التي تحتلها الملكة اللسانية في مجال اكتساب اللغة، والسبب الثاني يكمن في معرفة ماهية الملكة اللسانية والتطلع على الجهود التي بذلها "ابن خلدون " و" ابن نبي ".

وقد جاء هذا البحث في فصلين الأول نظري، والثاني تطبيقي يسبقها مقدمة ويعقبها خاتمة .

يشتمل الفصل الأول على ماهية الملكة اللسانية، وذلك في جانبها اللغوي والاصطلاحي، وموضوع اكتساب اللغة في كل من الفكر العربي القديم والنظريات الغربية الحديثة .

أمّا الفصل الثاني فقد تناول السيرة الذّاتية لكل من " ابن خلدون " و" ابن نبي "، وآراء العلماء فيهما، ثم تطرق فيه أيضا إلى الملكة اللسانية عندهما، وعرض فيه أوجه التشابه والاختلاف بينهما واعتمدت في الدراسة على المنهج التاريخي والوصفي، اللّذان اقتضتهما الدراسة النظرية، وعلى المنهج المقارن للجانب التطبيقي باعتباره الأنسب مادامت دراسة مقارنة .

تأتي بعد ذلك الخاتمة وفيها يتم رصد أهم النتائج المتوصل إليها، وكانت حوصلة لكل ما عرض وقدم في البحث .

وقد واجهتني بعض الصعوبات خلال إعداد هذا البحث منها : قلة المراجع والبحوث المتعلقة بـ" ابن نبي " حول الملكة اللسانية، فيمكن القول أنها منعدمة .

وآمل أن أكون قد وفيت ولو بقدر قليل واقع الملكة اللسانية عند "ابن خلدون" و"مالك بن نبي"، وفي النهاية لا يفوتنا أن أقدم الشكر الجزيل لكل من قدم لي يد العون في إنجاز هذا البحث المتواضع وفي مقدمتهم الأستاذة المشرفة " مهلول " .

الفصل الأول

1- مفـهـوم الملــكة:

1-1الغـــــة:

يعرف ابن منظور الملكة في معجمه "لسان العرب" قائلا:

"(ملك) الليث المَلِكُ هو الله تعالى، ونقدّس مَلِكُ المُلُوك له المُلْكُ وهو مالك يوم الدين وهو مَلِيكُ الخلق، والمُـلْكُ معروف وهو يذكر ويؤنث كالسُّلْطان، ومُلْكُ الله تعالى ومَلَكُوته سلطانه وعظمتهُ . الْمَلْكُ والمَلِكُ والمَلِيكُ والمالِكُ ذو المُلْكِ ومَلْك ومَلِكٌ مثال فَخْذٍ وفَخِذٍ، ومَلَكَةً ومَمْلَكَة ومَمْلُكة ومَمْلِكة كذلك، وما له مَلْكٌ ومِلْكٌ ومُلْكٌ ومُلُكٌ أي شيء يملكه كل ذلك عن اللحياني، وحكي عن الكسائي ارْحَمُوا هذا الشيخ الذي ليس له مُلْكٌ ولا بَصَرٌ أي ليس له شيء، مَلْكٌ وملْك ومُلْك ومَلَكٌ يعني مَرْعًى ومَشْرباً ومالاً وغير ذلك مما تَمْلِكه وقيل هي البئر تحفرها وتنفرد بها، ومَلْكُ الوَلِيّ المرأَةَ ومِلْكُه ومُلْكه حَظْرُه إياها ومِلْكُه لها والمَمْلُوك العبد ويقال هو عَبْدُ مَمْلَكَةٍ ومَمْلُكة ومَمْلِكة الأخيرة عن ابن الأعرابي. وطال مِلْكُه ومُلْكه ومَلْكه ومَلَكَتُه عن اللحياني أَي رِقُّه ويقال إنه حسن.وأقر بالملكة و الملوكة. أي: الملك. وفي الحديث: "لا يدخل الجنة سيء الملكة"، متحرك. أي: الذي يسيء صحبة المماليك. ويقال: فلان حسن الملكة إذا كان حسن الصنع إلى مماليكه. وفي الحديث: حسن الملكة نماء، هو من ذلك"[1].

يعدّ "لسان العرب" معجماً موسوعياً، يتسم بغزارة المادة، حيث استشهد بكثير من الآيات القرآنية وكلام العرب، وروايته لكثير من آراء العلماء اللغويين والنّحويين، فمادّة "ملك" في لسان العرب تعكس مظهر من مظاهر حياة اللغة العربية وحياة المجتمع العربي.

[1] **ابن منظور، لسان العرب، مج. 14، دار صادر،بيروت، ط.1، 2000،مادّة(ملك).**

ولقد وردت مادّة (ملك) في "مختار الصحاح" على هذا المنوال :

(مَلَكَهُ) يَمْلِكُهُ بِالْكَسْرِ (مِلْكًا) بِكَسْرِ الْمِيمِ. وَهَذَا الشَّيْءُ (مِلْكُ) يَمِينِي، وَ (مَلْكُ) يَمِينِي وَالْفَتْحُ أَفْصَحُ .وَ (مَلَكَ) الْمَرْأَةَ تَزَوَّجَهَا. وَ (الْمَمْلُوكُ) الْعَبْدُ. وَ(مَلَّكَهُ) الشَّيْءَ (تَمْلِيكًا) جَعَلَهُ مِلْكًا لَهُ. يُقَالُ :مَلَّكَهُ الْمَالَ وَالْمُلْكَ فَهُوَ (مُمَلَّكٌ) قَالَ الْفَرَزْدَقُ فِي خَالِ هِشَامِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكَ:

وَمَا مِثْلُهُ فِي النَّاسِ إِلَّا مُمَلَّكًا ** أَبُو أُمِّهِ حَيٌّ أَبُوهُ يُقَارِبُهْ

(الْإِمْلَاكُ) التَّزْوِيجُ وَقَدْ (أَمْلَكْنَا) فُلَانًا فُلَانَةَ أَيْ زَوَّجْنَاهُ إِيَّاهَا. وَجِئْنَا بِهِ مِنْ (إِمْلَاكِهِ) وَلَا تَقُلْ: مِنْ مِلَاكِهِ، وَ (مَلْكٌ) وَ(مَلِكٌ) مِثْلُ فَخْذٍ وَفَخِذٍ كَأَنَّ الْمَلْكَ مُخَفَّفٌ مِنْ مَلِكٍ، وَالْمَلِكُ مَقْصُورٌ مِنْ (مَالِكٍ) أَوْ (مَلِيكٍ) وَالْجَمْعُ (الْمُلُوكُ) وَ (الْأَمْلَاكُ) وَالِاسْمُ (الْمُلْكُ)، وَالْمَوْضِعُ (مَمْلَكَةٌ). وَ (تَمَلَّكَهُ): مَلَكَهُ قَهْرًا، وَيُقَالُ: فِي (مَلْكِهِ) شَيْءٌ، وَمَا فِي (مِلْكِهِ) شَيْءٌ، وَمَا فِي (مَلَكَتِهِ) شَيْءٌ بِفَتْحَتَيْنِ أَيْ لَا يَمْلِكُ شَيْئًا. وَفُلَانٌ حَسَنُ (الْمَلَكَةِ) أَيْ حَسَنُ الصَّنِيعِ إِلَى مَمَالِيكِهِ. وَفِي الْحَدِيثِ: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ سَيِّءُ الْمَلَكَةِ». وَ(الْمَلَكُ) مِنَ (الْمَلَائِكَةِ) وَاحِدٌ وَجَمْعٌ، وَيُقَالُ : مَلَائِكَةٌ وَمَلَائِكُ.[1]

لقد راع "الرّازي" في معجمه "مختار الصحاح" الدّقة في شرحه لمادّة (ملك)، ونال اهتمام اللّغويين والمصنفين حديثا وقديما، والذي استمدّ المادّة من مشافهة العرب، في البوادي، ومن السّماع والرّواية، وممّا أُلّف من معاجم قبله.

[1] **محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرّازي، مختار الصحاح، مكتبة لبنان، بيروت، 1986، مادّة(ملك).**

إضافة إلى هذا، تظهر مادّة "ملك" في "معجم الوسيط" على النّحو التالي:

"(مَلَكَ) الشّيء ملكاً: حازه وانفرد بالتصرف فيه، فهو مالِكُ. (أمْلكهُ) الشّيء: جعله ملكاً له، ويقال: أملكَ فلانًا أمره: خلاّه وشأنه، و أُمْلكتْ فلانةٌ أمرها: طلّقتْ، أو جُعل أمرُ طلاقها بيدها، وأملك فلاناً المرأةَ: زوّجه إيّاها. ملك النَّبعةَ: صلّبها و يبّسها في الشّمس. (امتلك) الشّيء: مَلَكَهُ. (تمالَكَ) عن الشّيء: ملك نفسه عنه فلم يتناوله، ويُقالُ: "ما تمالَكَ أن فعل كذا ": ما تماسك عن فعله، "وهذا حائط لا يتمالك" لا يتماسك فهو معرّضٌ للسقوط. (المالكُ): أبو مَالك: كنية الكِبرِ والسنِّ. (الملكة): صفة راسخة في النّفس أو استعداد عقلي خاص، لتناول أعمال معينة بحذق ومهارة، مثل الملكة العددية والملكة اللّغوية "[1].

قدّم "معجم الوسيط" مادّة (ملك) في أسلوب واضح قريب المأخذ، سهل التناول، فهو أغفل بعض المترادفات، وهذا راجع إلى اختلاف في اللّهجات، إلاّ أنّه قد راع الدّقة والوضوح في شرح المادّة.

و أمّا في "القاموس المحيط" لـ"للفيروز أبادي " يقول:

"مَلَكَهُ يَمْلِكُهُ مِلْكاً مثلَّثةً، ومَلَكَةً، مُحرَّكَةً، ومَمْلُكَةً، بضمّ اللاّم او يثلَّثُ: احتواه قادرا على الاستبداد به، ومالَه مِلْكٌ، مُثلَّثاً ويحرَّكُ، وبضمتين: شيء يمْلِكُهُ، وأَمْلَكَه الشيءَ، وملَّكَه إيّاه تمْلِيكاً: بمعنىّ.ولي في الوادي مُلْكٌ، مثلّثا ويحرّكُ: مرعى ومشرب ومال، أو هي البئرُ يحفرُها وينفَرِد بها. والماء مَلَكُ أمرٍ،. ومَلَكَنا الماءُ: أرْوانا. وهذا مِلْك يَمني، مثلّثةً، ومَلْكَةُ يَمني، وأعطاني من مِلْكِه، مثلّثةً، ممّا يقدر عليه، ومَلْكُ الوَلِيّ المرأةَ: هو حضرُه إيّاها،

[1] **معجم الوسيط، مجمع اللّغة العربية،مكتبة الشروق الدّولية، ط.4، 2005، مادّة(ملك).**

وعبْد مَمْلَكَةٍ، مثلّثه اللاّم: مُلِكَ ولم يُمْلَكْ أبواه، وطال مُلْكُه، مثلّثةً، ومَلَكَتهُ، محرّكةً: رقُّه. وأقرّض بالمَلَكَةِ، محرّكة، وبالمُلُوكةِ، بالضم: بالمِلْكِ، والمُلْكُ، بالضم: م، ويؤنّث، والعظمة والسلطان، وحبّ الجُلْبان، والماء القليل، وبالفتح، وككَتفٍ وأميرٍ وصاحبٍ: ذو المُلْكِ، ج: مُلُوكٌ وأملاكٌ ومُلْكَاءُ ومُلاَّكٌ ومُلَّكٌ، كركّع. والأمْلُوكُ: اسم للجَمع، وملَّكُوهُ تمْليكاً، وأمْلَكُوه: صيَّروهُ ملكاً "[1].

لقد أغفل "الفيروز أبادي" في شرحه لمادّة (ملك) للأضداد، فهو يخلط بين الاسم (مَلِكٌ) والفعل (مَلَكَ) ولا يفصل بين المجرّد والمزيد، إلاّ أنّ هذه الهفوات لا تنقص من شأن هذا المعجم الذي يسّر مهمة الباحث، وهو يعدّ من أحسن المعاجم العربية.

وقد سعى الأستاذ الدكتور" أحمد مختار عمر" في معجمه "معجم اللّغة العربية المعاصرة" في تعريف الملكة فقال:

"مَلَكَ و يَمْلِكُ مُلْكًا فهو مالِكٌ والمفعول مملوكٌ، مَلَكَ الشّيء استولى عليه وكان في قدرته أن يتصرّف فيه بما يُريد، تمكَّن منه، ملَكَه الغيض: أخذ و استبدّ به[2]، ملَكَةَ (مفرد): ج ملكات: صفة راسخة في النفس أو استعداد عقلي خاص لتناول أعمال معينة بذكاء ومهارة، موهبة "ملَكَة لغوية/ فنية، مَلَكَة الشّعر/ الغناء" ،ملِكةٌ: ج ملِكات: زوجة أو أرملة الملك"[3].

معجم اللّغة العربية المعاصرة، معجم عصريٌ يقف على استحداث لكلمات جديدة لمسايرة التّقدّم العلمي والتكنولوجي الهائل، فاكتفى بالنقل والاختصار لمادّة (ملك)، فهو لم يُفْقِدْ الصّحة اللغوية للمفردة.

---

[1] **الفيروز أبادي، قاموس المحيط، ج. 3، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1979، ص. 309، مادّة(ملك).**

[2] **أحمد مختار عمر، معجم اللّغة العربية العاصرة،، مج. 4، عالم الكتاب.ط. 1،(د.ت)، ص. 2121، مادّة (ملك).**

[3] **المرجع نفسه، ص .2123، مادّة (ملك).**

لقد وردت مادّة ملَكَ في " معجم الصّافي في اللّغة العربية" لـ" صالح العلي صالح":

"ملك: المـلْكُ: معروفٌ، يذكّر ويؤنث، كالسّلْطان. مُلْكُ الله تعالى ومَلَكُوتُهُ: سلطانِه و عظمتُه، المـلْكُ والمليكُ والمالِكُ: ذو المـلْك. تملَّكه: مَلَكه قهراً. مـلَّك القوم فلاناً وأملكوهُ: صيَّرُوهُ مَلِكاً. المـلْكُ: ما ملكت اليد من مالٍ وخُولٍ. المَمْلَكة:سلطان الملكِ في رعيّته. المِلْك: احتواء الشئ والقدرة على الاستبداد به.ملَكَنا الماء: أروانا فقوينا على مـلْكِ أمرنا.المـمَلُوك : العبد. طال مُلِكُهُ ومَلَكَتُهُ: رِقُّهُ. فلان حسن الملكةِ: حسن الصّنع الى مماليكه. تمالك: تماسَك. نفْسي لا تُمالكُني: لا تُطاوعني. الإمْلاكُ: التّزويج. القلبُ: مِلاكُ الجسد. ملَكَ الخِشْفُ أُمّهُ: قَوِي وقدر ان يتبَعَها. المـلَيْكةُ: الصّحيفة. الأملوكُ: قُومٌ من العرب من حِمْيَرَ. المـلَكُ واحد من الملائكة. ملَكَ العجين يَمْلِكُه مـلْكاً: عجنه فأنعم عَجنَه وأجادهُ" [1].

اهتمّ هذا المعجم باللغة قديما وحديثا، وقد تناول مادّة (ملك) بمعانيها التاريخية القديمة، وزاد عليها المعاني المولّدة والمحْدثة، ونال شهرة واسعة لسهولته وتلبيته لحاجة الباحثين في حقول المعرفة.

ويضيف "لويس معلوف" في تعريفه لمادّة–ملك– مايلي:

مَلَكَ: مَلْكًا ومُلْكاً ومِلْكًا ومَلَكَةً ومَمْلكَةً ومَمْلُكَةٌ الشيءَ: احتواه قادرا على التصرّف والاستبداد به، و- على القوم: استولى عليهم، و- نفسَهُ: قدر على حبسها، و- المرأةَ: تزوَّجها، و- مَلْكًا

[1] **صالح العلي صالح ،أمينة الشيخ سليمان الأحمد، المعجم الصافي في اللّغة العربية،غزة،(د.ت)،محرم، 1401هـ، ص.636.**

العجينَ: أنعمَ عجنَهُ حتى أخذ بعضه بعضا. مَلَّكَ ُه الشّيءَ: جعلهُ مُلْكا له، ، و- ُه امرأةً: زَوَّجه إياها، و- فلانا أمَرَهُ: خلاّه وشأنه، مُلِّكَ تِ المرأة أمرها:جُعلَ أمرُ طلاقها في يدها.. تملَّكَ الشّيء: ملَكَه، تمَالَكَ عن كذا: تماسك وملك نفسه عنه، امْتَلَكَ الشّيءَ: مَلَكَهُ، المالِك. ويقال "أعطاني من ملكهِ" أي بما يقدر عليه. ويقال "طال مُلكهُ" أي رقُّهُ. المِلْكَةُ والمِلْكَة: المِلْك. المَلَكَةُ: المِلْك، ويقال "وهو مَلَكَة يميني" أي املكه واقدر عليه، صفة راسخة في النفس، يقال مثلاً "عند فلان مَلَكَة النقد" أي أن النقد صفة راسخة في نفسه، مِلكَةُ النّحل: يعسوبها وأميرتها، المَلاَكَةُ والمِلاكَةُ والمُلُوكَةُ: المِلْكُ، المَلَكُوت: المِلك العظيم، العزّ والسلطان، و- السماويّ: هو محل القديسين في السماء (سريانية)"[1].

كان لهذا المعجم تأثيرا كبيرا في اللغة العربية، إذ لم نلتمس فيه جديد لمادّة (ملك)، وإنّما هو تكرار لما تكلّم سابقيه من المؤلفين أمثال "ابن منظور"و "الزّازي" وغيرهم .

يقول "الإمام الزبيدي" في معجمه "تاج العروس":

"**م ل ك** مَلَكَه يَمْلِكُه مَلْكًا ، مُثَلَّثَةً اقْتَصَرَ الجَوْهَرِيُّ على الكَسر ، وزادَ ابنُ سِيدَه الضَّمَّ والفَتْح عن اللِّحْياني ومَلَكَةً مُحَرَكَةً عن اللِّحْيانيّ ومملَكَةً ، بضم اللامِ أَو يُثَلَّثُ كسرُ اللامِ عن ابنِ الأَعْرابِي، المُلْك : هو التَّصَرُّفُ بالأَمْرِ والنَّهي في الجُمْهُورِ ولِهذا يُقال : مالِكُ النّاس ولا يُقال : مالِكُ الأَشْياءِ ، وقولُه عَزّ وجَلَّ : مالِكِ يَوْمِ الدِّينِ فتَقْدِيرُه المالِك في يَوْمِ الدِّينِ والمُلْكُ ضَربان : مُلْكٌ هو التَّمَلّكُ والتَّوَلِّي ، ومُلْكٌ هو القُوَّةُ ، وقالَ اللّيثُ : وقولُهم : ما في مِلْكِه شَيءٌ ومَلْكِه شَيءٌ :

أي لا يَمْلِكُ شَيئًا، وحَكَى اللِّحْيانِي عن الكِسائي : ارْحَمُوا هذا الشَّيخَ الذي لَبسَ له مُلْكٌ ولا بَصَرٌ ، أي : لَيسَ له شَيءٌ ، بهذا فَسَّرَه اللِّحْيانِي، وأَمْلَكَه الشيء ومَلَّكَه إيّاه تَمْلِيكًا بمَعْنًى واحد ، أي : جَعَلَه مِلْكًا له يَمْلِكُه ،ويُقال : لِي في هذا الوادِي

[1] **لويس معلوف، المنجد في اللّغة ، دار المشرق، بيروت، ط.5، 1967م، ص.775.**

مِلْـكٌ ، أي : مرعًـا ومَشْـرَب ومـالٌ وغيـرُ ذلـك ممـا يَمْلِكُـهُ . أَو هـي البِئْـرُ يَحْفِرُهـا ويَنْفَـرِدُ بهـا، وقـال ثَعْلَـبٌ : يُقـالُ : لَـيسَ لَهُـم مِلْـكٌ ، مُثَلَّثًـا : إذا لـم يَكُـنْ لهـم مـاءٌ والجَمْـعُ مُلُـوكٌ، وأَعْطـاني مِـنْ مُلْكـهِ ،أي : ممـا يَقْـدِرُ عليـه، وقـال ابـنُ السِّـكِّيتِ : المَلْـكُ : مـا مُلِـكَ ، يُقـال : هـذا مَلْـكُ يَـدي ، ومِلْـكُ يَـدِي ، ومـا لأَحَـدٍ فـي هـذا مَلْـكٌ غَيـري ، ومِلْـكٌ . ،ومَلْـكُ الـوَلِيِّ المَـرأَةَ هـو حَظْـرُه إيّاهـا ومِلْكُـه لَهَـا ويُقـال : هـو عَبـدُ مَمْلَكَـةٍ ، ، قـال ابـنُ سـيدَه : يُقـال : نَحْـنُ عَبِيـدُ مَمْلَكَـةٍ لا عَبِيـد قِـن ، أي : إنَّنـا سـبِينَا ولـم نُمْلَـكْ قَبـلُ ، والعَبـدُ القـنُّ : الذي مُلِكَ هو وأَبَواه ، ويُقال : القِنُّ : المُشْتَرَى" [1].

حضت مادّة (ملك) في معجم "تاج العروس"من الشّرح ما لم يشرحه الذين سبقوهُ إليها، فلم يهمل أيّ جانب إلاّ وشرحه، فهو يذكر المادّة ويعقبها بشرح، وعنايته بالأعلام من الصحابة والمحدثين من عصره، وأكثره جمعا واستقصاء، فله منزلة رفيعة بين معجمات العربية، فكان بذلك اسمًا على مسمّى، تاجًا للمعاجم العربية على مختلف العصور .

وما يُستخلص في الأخير أنّ مادة "ملك" هي أوسع أن يحتويها معجم واحد نظرا لما تحمله في طياتها من معاني ومرادفات، فبالرّغم من أنّ لكل معجم شرحه الخاص لمفهوم الملكة، إلاّ أنّها تصب في مصب واحد، هو الامتلاك (امتلاك الشيء).

[1] **السيد محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، تاج العروس،ج.27، تح. مصطفى حجازي،سلسلة تصدرها وزارة الإعلام والاتصال في الكويت، التراث العربي، 1993م، ص.ص.346. 347.**

1-2- اصـــطـلاحًـا :

لقد تعددت الآراء و اختلفت وجهات النظر بين الدّارسين حول مفهوم الملكة، وبهذا يمكن الوقوف عند أهم التعريفات التي جاء بها القدماء.

يدل مصطلح الملكة في الفكر اليوناني "حمل الأشياء التي هي أطول زمانا في الثبوت وأعسر حركة، فإنّهم لا يقولون في من كان غير متمسك بالعلم تمسّك يعتدّ به أنّ له ملكة"[1].

وتحدّث "الفارابي" بشأن الملكات واكتسابها فيقول:" والإنسان إذ خلا من أول مل يفطر ينهض ويتحرك نحو الشيء الذي تكون حركته إليه أسهل عليه بالفطرة،... وأول من يفعل شيئا من ذلك يفعل بقوة فيه بالفطرة وبملكة طبيعية لا باعتياد له سابق قبل ذلك ولا بصناعة، وإذْ كُرّر فعل شيء من نوع مرارا كثيرة حدثت له ملكة اعتيادية إمّا خلقية أو صناعية ..."[2]، فالمدقّق لهذا القول يجد أن "الفارابي" يقسم هذه الملكة إلى قسمين هما:

أ-ملكة خلقية.

ب-ملكة صناعية.

مركّزا على الفطرة، أو الجانب الفطري للإنسان في الاكتساب، إلاّ أنّه ورغم هذا "فالفارابي" يرى أن هذه الملكة تحدث بموجب التكرار والاعتياد وبشكل اختياري، حيث يقول: "... ثمّ للملكات الحاصلة من اعتياد تلك الأفعال من أخلاق وصنائع..."[3] ، مؤكدا على أن حصول الملكة لا يتم ولا يكون دفعة واحدة، وإنّما تتابع أو تعاقب متقارب متساوٍ لمدّة طويلةويضيف قائلا: "... والذي يكتسب به الإنسان الخلق أو ينتقل بنفسه عن خلق

[1] السيد الشرقاوي، الملكة اللّغوية في الفكر اللّغوي العربي،مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، ط 1، القاهرة، 2002 ، ص.32.

[2] الفارابي،الحروف،تح.محسن مهدي، دار المشرق، بيروت، 1970، ص.135.

[3] المرجع نفسه، ص.138.

صادفها عليه هو الاعتياد، وأعني بالاعتياد تكرير فعل الشيء الواحد مرارا زمن طويلا في أوقات متقاربة"[1]، "فالفارابي" بهذا وعلى أساسه يصنع شروطا ضرورية متشابكة لحصول الملكة بحيث يجمعها في:

1- ضرورة التكرار المتواصل والدّائم.
2- المقياس الزماني، أي لا بدّ وأن تكون فترات التكرار طويلة أولاً، ومتساوية المدى ثانياً.

إضافة إلى هذا يعبر "أبو حيّان التوحيدي" عن مصطلح الملكة بالعادة، ويقول بأنّها تكون عن طريق التكرار، " قيل إنّها العادة ؟ قال: حال يأخذ بها المرء نفسه من غير أن تكون مسنونة، يجري عليها مجرى ما هو مألوف طبيعيا، قال أبو سليمان (المنطقي): كأنّ هذا الاسم ليس يخلص إلاّ لمن أتى شيئا مراراً، فأمّا في أوّل ذلك فليس له هذا النعت، إنّما يصير مألوفا بالتكرار"[2].

وربط "ابن سينا" مفهوم الملكة بالصناعة النفسية، حيث يقول: "والصناعة ملكة نفسانية تصدر عنها أفعال إرادية بغير رويّة تنحوا تماما مقصودا "[3].

وقد اصطلح "إخوان الصفا" على مفهوم الملكة بالعادة، حيث يرون أن الملكة كمهارة تكون فيه الأخلاق والصنائع، ولا تكون إلاّ نتيجة تحصيل حاصل للممارسة الدّائمة، حيث يعبرون عن هذا بقولهم: " ...وأعلم أنّ العادات الجارية بالمداومة على البحث عنها و الدرس

[1] الفارابي، المرجع السابق، ص.08.

[2] أبو حيان التوحيدي، الامتناع والمؤانسة،ج.3،دار مكتبة الحياة، (د .ط)، (د .ت)، ص. 132 .

[3] ابن سينا، البرهان من كتاب الشفاء،الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1983، ص 132 .

لها و المذاكرة فيها يقوّي الحذق بها و الرسوخ فيها، و هكذا المداومة على استعمال الصنائع والتدريب فيها يقوّي الحذق بها والأستاذية فيها..."[1] ، ومعنى هذا أنّ "إخوان الصفا " يركزون على أمور ثلاثة، تشحذ من خلالها العادات إلى أن ترتقي وتصبح عادة دائمة فيها، وهي:

1- الأخلاق
2- العلوم وأخذها.
3- تعلم الصنائع واستعمالها.

وهم بهذا يمثلون كيفية ارتقاء هذه العادات حتى تصبح شبه دائمة لا شعورية فيهم كأنّها طبيعية ثانية عن طريق المران والممارسة الدّائمين.

وتحدّث "ابن جني" عن اللّغة وعبّر عن الملكة اللّسانية بقوله: " ... و لأنّهم ليست لهم أصول يواجهونها، ولا قوانين يحتكمون بها، و إنّما تهجم بهم طباعهم على ما ينطقون" [2]، وهذا عند تحليله لأغلاط العرب.

ثمّ يضيف "الشريف الجرجاني" تعريفا آخر للملكة في قوله: " هي صفة راسخة في النّفس، وتحقيقه، أنه تحصل النفس هيئة، بسبب فعل من الأفعال، لا يقال لتلك الهيئة كيفية نفسانية،

[1] **إخوان الصفا،رسائل إخوان الصفا و خلان الوفاء، ج.4، بيروت للطباعة والنشر،بيروت، 1983،ص. 32 .**

[2] **ابن جني، الخصائص، دار الهدى للطباعة والنشر، ج.3، ط.2، (د. ت)، بيروت، ص.273.**

وتسمّى حالة، ما دامت سريعة الزّوال، فإذا ما تكررت و مارستها النفس حتى رسّخت تلك الكيفية، وصارت بطيئة الزّوال، فتصير ملكة، و بالقياس إلى ذلك الفعل عادة وخلقًا"[1].

ويعني هذا أن الملكة حالة مستمرة وبطيئة راسخة في نفس الإنسان، وتنبني على أفعال مكررة إلى أن تتحول الملكة إلى عادة وخلق وصناعة.

وزيادة على المفاهيم السابقة، تحدثت "شفيقة العلوي" في محاضراتها عن الملكة والتأدية تقول بأنّ: " الملكة هي معرفة المتكلم، السّامع للّغة، أمّا التأدية فهي الاستعمال الفعّال فهي مواقف مادية و واضحة"[2] .

كما عُبِّرَ في "معجم علم النفس"لـ "فاخر عاقل" عن مفهوم الملكة بالمهارة، وجاء فيه ما يلي:" ... وهي حذاقة تنمو بالتعلم وقد تكون حركية كما في ركوب الدراجة او كلامية كما في التسميع أو مزيحا بين الاثنين كما هو الحال في الضرب على الآلة الكتابية " [3]،"ففاخر عاقل" يقسم هذه المهارة أو "الحذاقة" إلى ثلاثة أقسام هي:

1- المهارة الحركية: مثل ركوب الدراجة.

[1] عبد السلام المسدي، التفكير اللساني في الحضارة العربية،الدار العربية للكتاب،ط.1 ، ليبيا،1981، ص. 215 .

[2] شفيقة العلوي، محاضرات في المدارس اللّسانية المعاصرة، ط.1، 2004، بيروت، لبنان، ص.44.

[3] فاخر عاقل، معجم علم النفس،ط.3، ،دار العلم للملايين، بيروت، 1986، ص.105.

2- المهارة الكلامية: كالتسميع نحو حفظ القرآن والإنشاد مثلا.

3- المهارة الحركية والكلامية في آنٍ واحد كالنشيد أو قراءة قصيدة ومتابعة إيقاعها عن طريق حركات اليد والوجه معاً.

هذا من جهة،و من جهة أخرى يربط أبو اللّسانيات الحديثة "دي سوسير" " بين الملكة واللّسان، ويعتبر أن ملكة إنشاء اللّغة هي الشيء الطبيعي عند الإنسان لا اللّسان الشفوي ،كما فرق بين اللّسان و الكلام الذي هو فعل وأداء فردي ملموس"[1].

ويؤكد "john dewey جون ديوي" في قاموسه للتربية، على أن الملكة فطرة واستعداد حيث يقول: "... من الواضح أن اكتساب العادات راجع إلى مرونة أصلية فطرية في طبائعنا وإلى قدرتنا على تنويع وتغيير رجوعنا واستجابة إلى أن نجد وسيلة مناسبة وفعّالة للتصرف"[2]، ويضيف قائلا:" أن مفهوم الملكة لا يتعدى " الفطرة" وما العادات والممارسات إلاّ تعبير وانطباع في تلك القدرات النفسية المتأصلة في الفرد، والتي تعمل على مساعدتنا من أجل تحقيق وسيلة التصرف بأي شكل كان، معنوياً أو حركياً أو هما معاً، رغبة في تحقيق الغاية المقصودة "[3].

[1] أحمد مومن، اللسانيات النشأة والتطور، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، (د.ط)، 2002، ص.123.

[2] جون ديوي، قاموس جون ديوي للتربية،(مختارات من مؤلفاته)، تر. محمد علي العريان، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر، 1964،ص.142.

[3] المرجع نفسه،ص.143.

ولقد تمكن المنظور البنوي " من اعتبار أنّ الملكة اللسانية يمكن اكتسابها بالمحاكاة أو التقليد أو بالقياس بدرجة أقل"[1]، هذا يعني أنّ اكتساب الملكة اللسانية عند البنويين يمكن حصره في التقليد والمحاكاة.

وأخيراً، فإنّ الملكات هي بمثابة قدرات وطبائع وصفات وأحوال وهيئات واتجاهات وميول تكون وراثية من ناحية، أو مكتسبة من ناحية أخرى، وذلك عن طريق التجريب والتكرار وفعل العادة، من أجل مواجهة الوضعيات والظروف التي يوجد فيها المتعلم، وبالتالي هي ما يُميز الإنسان عن باقي الكائنات الأخرى ، باعتبارها خاصية إنسانية محضة.

[1]السيد الشرقاوي، الملكة اللغوية في الفكر اللغوي العربي،مؤسسة المختار للنشر والتوزيع،ط.1، القاهرة،2002 ص.11.

2- اكتساب اللّغة :

لا يمكن التحدث عن الملكة اللّسانية دون التطرق إلى قضية اكتساب اللّغة، التي "تحتل أهمية بالغة في إطار الدراسات الألسنية الحديثة، وتندرج هذه المسألة في إطار ما عرف بعلم النفس اللّغوي، الذي يهتم بدراسة قضايا اكتساب وإنتاج الكلام وتفهمه"[1].

" وممّا لاشك فيه أن الوظيفة الأساسية للغة هي التعبير عن الأحاسيس وتبليغ الأفكار من المتكلم إلى المخاطَب، فاللغة بهذا الاعتبار وسيلة للتفاهم بين البشر وأداة لا غنى عنها للتعامل في حياتهم، ومع ذلك فهي ليست غريزية كما يقرر ذلك الكثير من الباحثين" [2]، فهي إذن حاجة مكتسبة لتلبية عملية التواصل المنشودة بين أفراد المجتمع، فالإنسان يستطيع أن يعيش حياته دون قراءة وكتابة، لكن لا يمكنه أن يكملها دون لغة باعتبارها وسيلة الإنسان للتحقيق إنسانيته بصورة متكاملة .

لقد اختلفت آراء اللسانيين والباحثين حول قضية اكتساب اللغة، فهناك من يراها بأنها غريزية في الإنسان، ولد وهو مزود بها، وهناك من يراها بأنها مكتسبة من المحيط الخارجي الذي يعيش فيه، وهذا ما تطرق إليه الفكر العربي القديم والنظريات الغربية الحديثة.

1 ميشال زكريا، ،مباحث في النظرية الألسنية،المؤسسات الجامعية للدراسات والنشر، بيروت،ط.2، 1985،ص.66.

[2] محمود السعران، ، اللغة والمجتمع، دار الفكر العربي، القاهرة، د.ط،1992، ص. 10.

2-1- في الفكر العربي القديم:

لقد اهتم بعض اللّغويين وعلماء الكلام والفلاسفة العرب بمسألة الاكتساب اللّغوي، وأولوا عناية بالغة باللّغة العربية، باعتبارها لغة القرآن الكريم، فهناك بعض الآراء والأفكار المتفرقة للعلماء العرب الذين اهتموا بقضية تحصيل اللّغة وامتلاكها، ومن ذلك:

"ابن خلدون" الّذي تناول قضية اكتساب اللّغة من منطلق ثابت، مفاده أن اللغة ملكة طبيعية يكتسبها الإنسان حيث يرى " أن اللغات لما كانت ملكات كان تعلمها ممكنا شأن سائر الملكات "[1]، فاللغة عبارة عن ميزة أو صفة إنسانية يكتسبها الإنسان بشكل متدرج غير مقصود، فتبدوا هذه المقدرة وكأنها طبيعية وفطرة "لأن الملكات إذا استقرت ورسخت في مجالها ظهرت كأنها طبيعة وجبلة لذلك المحل"[2].

فهو عندما يؤكد على أن اللغة مكتسبة فهو يميز بين نوعين من عمليات الاكتساب وهما: الاكتساب من خلال الترعرع في البيئة وسماع لغتها، والاكتساب بواسطة الحفظ والمران.

فالأوّل يكتسب الإنسان لغته (الطفل في مراحل طفولته) من خلال ترعرعه في بيئته، عن طريق سماع كلام المجتمع المحيط به، ويأخذه ممن هم حوله خاصة أمه، من خلال

---

[1] **ابن خلدون، المقدمة،دراسة أحمد الزعبي ،(د.تح)، شركة در الأرقم بن أبي الأرقم للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، د.ط، 2004، ص635.**

[2] **المرجع نفسه، ص. 638.**

مناغاتها له وتكرارها على سمعه كلمات وجمل وعبارات، وحتى بعض الأغاني القريبة إليهما معا، ويستدل "ابن خلدون" على هذا في أماكن عدّة وبأساليب مختلفة، نحو قوله مثلا: "...وهذه الملكة كما تقدم إنما تحصل بممارسة كلام العرب ، وتكراره على السمع والتفطن لخواص تراكيبه..."[1].

أمّا الثاني فيرى "ابن خلدون" أنّ من أجل ترقية تلك الملكة التي يحصل عليها الإنسان عفويا عليه نهج طريقة تعلم اللغة من خلالها كطريقة مباشرة في اكتساب الملكة اللغوية، والتي تتم من خلال النتاج العربي الفصيح من شعر ونثر ونظم، من كلام السّلف دون نسيان القرآن الكريم والحديث النبوي، سائر الفنون الأدبية وكلها التي تمكّنه من اكتساب الملكة اللغوية في ظروف مناسبة.

إلّا أنّ عملية الاكتساب في نظر "ابن خلدون" تبقى عملية وجدانية، و دليل ذلك قوله: " وهذا أمر وجداني حاصل بممارسة كلام العرب حتى يصير كواحد منهم، ومثاله: لو فرضنا صبيا من صبيانهم نشأ و ربّى في جيلهم، فإنه يتعلم لغتهم ويحكم شأن الإعراب والبلاغة فيها حتى يستوي على غايتها "[2] ، وهذا يدل على أنّ الطفل يكتسب لغة البيئة التي ينشأ فيها، على حد تعبير "ابن خلدون" .

[1] ابن خلدون،المرجع السابق، ص.1025.

[2] ميشال زكريا ، قضايا ألسنية تطبيقية،دراسات لغوية اجتماعية مقارنة تراثية، دار العلم للملايين، بيروت، ط .1، 1993، ، ص110.

كما يجعل "ابن خلدون" اللغة فعلا لسانيا ناشئا فذلك لوعيه أنّ اللّغة قابلة للتعلم والاكتساب، وتصير مع الوقت والمران ملكة متقررة، إنّها عنده ممّا يتعلمه الإنسان، وهو ما يمكن فهمه من تصنيفه للملكات إذ يقول في الملكة المساوية اليوم للمهارة "الملكات كلها جسمانية سواء كانت في البدن أو في الدماغ، من الفكر وغيره كالحساب"[1].

إذ يعتبر اللغة ملكة صناعية، فيقول:" اعلم أن اللغات ملكات شبيهة بالصناعة، إذ هي ملكات في اللسان للعبارة عن المعاني، وجودتها وقصورها بحسب تمام الملكة أو نقصانها"[2]، والملكة عنده تعني المهارة المحتاجة إلى الصقل والتدريب والتكوين، فالملكة صفة راسخة تحصل عن استعمال ذلك الفعل وتكرره مرّة بعد أخرى حتى ترسخ صورته"[3]، ولذلك كانت اللغة عنده من الأمور القابلة للتعلم فـ"الملكة إنّما تحصل بالتعليم" وهو التعريف نفسه الذي يستعمله اللغويون والتربويون للملكة اليوم، ومما لا بد من تسجيله هو أن تأكيد "ابن خلدون" على التكرار وجعله للتعلم مستويات، ثم عدم استثنائه للتعلم اللغوي منها، يحيل من جديد على فهمه الواعي بأن حقيقة العبرة القصوى في تعلم لغة من اللغات، لا يتوقف عند جهازها المفرداتي على أهميته بل إن التمكن قد يؤكد بدرجة أكبر على جهازها التركيبي، الذي حسب ما تقدم هو من أوجه التعبير باللغة عن المقاصد.

ويرى " القاضي عبد الجبار" أن الاكتساب يتم من خلال السماع والاختبار والمحاكاة والممارسة والاعتياد، وعلى قدر التكرار ترسخ العادة " حتى أن بعضهم إذا اعتاد طريقة في

[1] ا بن خلدون، المرجع السابق، ص.565.

[2] المرجع نفسه، ص.34.

[3] المرجع نفسه ،ص.436.

الفصاحة المتقدمة لا يواتيه الكلام المتوسط والركيك إلا بعد جهد وتكلف "[1]، وعليه فإن "عبد الجبار" يؤكد على أهمية الكلام، باعتباره علم ضروري، بموجبه تكتسب لغة معينة، إذن فالكلام عنده هو ملكة صناعية كالبناء والنسيج، تكتسب بالممارسة والدربة والاختبار.

ويرى "الفارابي" عند حديثه عن مسألة الاكتساب أن هذه الأخيرة تنبني على القدرة الفطرية عند الإنسان، إذ يقول: " ويتم الاكتساب من خلال قدرة فطرية تدعى بالملكة تتحول بواسطة تكرار الأفعال إلى ملكة اعتيادية إمّا خلقية وإمّا صناعية "[2]، وهذا يعني أن عملية الاكتساب في نظرية "الفـارابي" تكون من خلال أخذ الناشئ الكلام من المحيط الذي ينشأ فيه بفعل العادات الكلامية .

ويرى"ابن جني" :" أن اللغة نأخذها قياساً ، ونكتسبها ونشتق قوانينها بالمحاكاة والتوليد، فقد وضع المتقدمون قوانينًا عمل بها المتأخرون"[3]، وهنا يركز "ابن جني" على عنصر القياس لأن اللغة تؤخذ عن طريقه.

يتفق معظم الباحثين على القول بأن: "الاكتساب يحدث في الطفولة، أما تعلم اللغة فيحدث في مرحلة متأخرة، حيث يكون الأداء اللغوي قد تكوّن، وحين تكون العمليات العقلية قد نضجت أو قاربت النضج، ومعنى ذلك أن الذي يتعلم اللغة هو غير ذلك الطفل الذي كان يكتسب اللغة، إذ يحدث تغير كيفي في وظائف الأعضاء وفي النشاط النفسي".[4]

إنّ القدرة على اكتساب الطفل للغة تقتضي أن يعرف النظام اللغوي الذي يعمل به، وأن يكون لديه القدرة على التحكم في التعابير والجمل التي تتناسب المواقف اللغوية التي يوضع

---

[1] ميشال زكريا ، قضايا ألسنية تطبيقية،دراسات لغوية اجتماعية مقارنة تراثية، ص.106.

[2] المرجع نفسه، ص .ص.107 ، 108.

[3]عبد السلام المسدّي، المرجع السابق، ص.215.

[4]عبده الراجحي، علم اللغة التطبيقي وتعليم العربية، دار المعرفة الجامعية،الإسكندرية،(د.ط)، 2000، ص.22.

فيها، وبالتالي ينبغي عليه اختيار الألفاظ، والعبارات المناسبة لذلك، فمثلا: إذا ما كانت البنية المعنوية لكلمة" Mann" يعني رجل في اللغة الألمانية واضحة لدى الطفل، واستعمال جملة "Dakmmitein Mann" بمعنى "هناك رجل قادم " بشكل صحيح، فإنه لابد أن يتعلم من صياغة عبارة "طاب يومك يا سيد" لأن كلمة "Mann "لا ترد في استعمالها في هذه الحالة متناسبة و القواعد السالفة"[1].

وما يستخلص في الأخير من خلال أقوال وآراء العرب، أن اللغة تكتسب من خلال البيئة التي يعيش ويترعرع فيها الإنسان، وذلك بفعل الممارسة والتكرار والمران والمحاكاة، فهذه كلها عناصر تجعل الإنسان يكتسب لغة بيئته ومجتمعه .

[1] **صادق عبد الله أبو سليمان، "كيف يكتسب الطّفل اللّغة"، مجلة التربية،الدوحة، قطر، العدد 97، يوليو 1991، ص 151.**

2-2- في النظريات الغربية الحديثة :

لقد أولى العلماء الغربيون عناية خاصة باللغة، واعتبروها مرتبطة بالإنسان ارتباطا وثيقا لا يمكنها الانفصال عن بعضها، فهي لازمة الحضور مع الإنسان دائما، باعتبارها أداة الاتصال والتفاهم بين الناس لتحقيق أغراضهم، وبالتالي ظهرت هناك عدّة نظريات في مجال اكتساب اللغة، تتمايز من منطلق نظرتها إلى العامل الأساسي القائم وراء إتمام عملية الاكتساب.

ففي النظريات البيئية التي تقر بأن البيئة هي المسؤولية عن إتمام عملية الاكتساب، وهو ما شاع لدى علماء النفس السلوكيين، خاصة لدى " watson واطسن " و"skinnerسكينر " " فاللغة في نظر السلوكيين، شكل من أشكال السلوك، لذا هم لا يقرون بوجود أي تباين بين مسار اكتساب اللغة ومسار أية مهارة سلوكية أخرى، والسلوك اللغوي كأي سلوك آخر هو في النهاية عملية تدعيم إجرائي، ومن ثمّ ينبغي أن تتركز الدراسة العلمية على الملاحظة المباشرة، وأن تعتمد على خبرة الحواس فحسب"[1].

وبالتالي "لا يرى السلوكيون أية فائدة للمفاهيم العقلية مثل القصد والوعي والتفهم، فالأهل هم مصدر المعطيات اللغوية التي يحاكيها الطفل، وعملية التعزيز التي يقوم بها الأهل، هي بالذات، العملية اللازمة لتوفير العادات الكلامية، ويتحدد نمو الطفل طبقاً للظروف الموضوعة في محيط يراقب هذا النمو ويؤثر فيه" [(2)].

[1] ميشال زكريا ، قضايا ألسنية تطبيقية،دراسات لغوية اجتماعية مقارنة تراثية، ص.ص.107، 108.

[2] المرجع نفسه ، ص 104.

كما أن اللغة من منظور علم النفس السلوكي سلوك يكتسب كما تكتسب السلوكات غير اللغوية، والسلوك اللغوي ما هو إلاّ سلسلة من استجابات كلامية للمثير[1]، والسلوك اللّغوي الفعال بوصفه تعلما منشودا للغة "هو الذي ينتج عن استجابة صحيحة لمثير ما، فإذا تعززت هذه الاستجابة تحولت إلى عادة "[2].

فقد كشف اللسانيون النفسيون منذ حوالي أربعين عاما " أن الطفل يولد في دماغه قدرة هائلة على اكتساب اللغات، وهي قدرة تمكنه من كشف القواعد اللغوية كشفا إبداعيا ذاتيا، وتطبيق هذه القواعد وإتقان المحادثة بلغتين أو ثلاث لغات في آن واحد وهو ما زال دون السادسة، كما أن الطفل في هذه المرحلة يعمم القواعد بعد كشفها حتى على الكلمات التي لا تنطبق عليها ثم هو يصحح تصحيحا ذاتيا تعميمه الخاطئ"[3].

هذا من جهة، ومن جهة أخرى يرى السلوكيون أن" اللغة جزء جوهري من السلوك الإنساني، وما يتعاملون به مع اللغة، وما يصوغون نظرياتهم في اكتساب اللغة الأم في ضوئه، وهم بذلك يركزون على الاستجابات التي تخضع للملاحظة وبهذا يرون أن السلوك

[1] ميشال زكريا ،مباحث في النظرية الألسنية وتعليم اللغة، المؤسسة الجامعية للدراسة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط.1، 1981، ص.144.

[2] هـ.دوجلاس براون، أسس تعلم اللغة وتعليمها، تر.عبده الراجحي،علي أحمد شعبان، دار النهضة العربية للطباعة والنشر،بيروت، لبنان، 1994 ،ص53.

[3] ابن خلدون، المرجع السابق، ص.63.

اللغوي الفعال هو نتيجة استجابة صحيحة لمثير ما، وعند تعزز هذه الاستجابة تتحول إلى عادة، ولقد حاول علماء النفس أن يوسعوا النظرية السلوكية ومن ذلك ما أطلقوا عليه النظرية التوسطية[1].

فالسلوكيون يصلون إلى المعنى عن طريق مثير لغوي يؤدي إلى استجابة توسطية وهذه العملية غير ظاهرة، "ولقد جرت محاولات أخرى لفهم اكتساب اللغة في إطار الفكر السلوكي، لكنها جميعا عجزت عن تفسير الصيغة الإبداعية في اللغة، فالطفل الصغير يستطيع أن ينتج وأن يفهم مئات الجمل الجديدة في كل يوم" [2].

ووجهت انتقادات للمدرسة السلوكية، بحكم قصورها في فهم الكثير من الأمور التي تتضمنها العملية اللغوية، فاللغة ليست دائما مثير واستجابة، فهي جهاز معقد يستحيل اختصاره في هذه الثنائية المستندة إلى التكرار والتقليد والتعزيز، فاللغة من منظور التوليدية" تحمل لنا معلومات ثمينة عن عقلية المتكلم والسامع وحالتهما النفسية والاجتماعية والفكرية، وهو ما لا يمكن للمثيرات والاستجابات المتعددة أن تنقله إلينا، أو نقوم باستخلاصها منها، إن السلوكية تسلب الإنسان خصائص ماهيته ووجوده، المتمثلة في العقل والإبداع وحرية الإرادة والتحكم في التصرف"[3].

---

[1] **Larousse, Jean dubois : Dictionnaire de linguistique et des sciences du langage. art compétence, Paris, 1994. p.100**

[2] **هـ.دوجلاس براون،المرجع السابق، من ص.ص.36.38.**

[3] **مصطفى غلفان ، في اللسانيات العامة، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ط.1، 2010، ص. 32.**

أما النظرية العقلانية فهي تفترض وجود قدرة عقلية فطرية تقود عملية الاكتساب، والتي يمثلها كل من " chomskyتشومسكي "و " لينبرغlennberg "، حيث يرى "تشومسكي ": "أنّ الطفل يمتلك بالفطرة تنظيما ثقافيا يمكن تسميته بالحالة الأساسية. فمن خلال التفاعل مع البيئة وعبر مسار النمو الذاتي، يمر العقل بتتابع حالات تتمثل في البنى المعرفية[1].

كما أنّ "تشومسكي " يعتمد على المبادئ العقلانية في دراساته الألسنية "فينظر إلى اللغة من حيث هي تنظيم واسع التعقيد نستطيع عبر دراستها أن تكتشف المبادئ المجرّدة، التي تقود طرق استعمالها و تتحكم ببنيتها، وهذه المبادئ هي كلية، تبعا للحاجة البيولوجية الإنسانية وتتبع من المزايا العقلية المميزة الجنس الإنساني " [2].

أمّا "لينبرغ " فقد أخذ يدقق في القضية، "إذ هو يذكر حقائق لغوية وبيولوجية، تتمثل في أن اللغة تكتسب بشكل طبيعي ولا تعلم، والدماغ البشري مهيأ لاكتساب اللغة ما بين السنة الثانية والعاشرة من عمر الطفل، نظرا لطراوة القشرة الدماغية، بل وهناك علاقة بين الوظيفة اللغوية عند الإنسان ووظائف الدماغ"[3]، هذا يعني أن النمو اللغوي في المطاف عائد إلى قدرات بيولوجية خاصة بالجنس البشري.

أمّا في االنظرية المعرفية والتي تمثلها نظرية "Jean Piaget جون بياجيه " البنائية، "التي تقول بالتفاعل بين قوى الطفل الذاتية وبين بنية المحيط، يرى أنّ "السلوك

[1] ميشال زكريا ، قضايا ألسنية تطبيقية،دراسات لغوية اجتماعية مقارنة تراثية ، ص.104.

[2] ميشال زكريا، الألسنية التوليدية التحويلية و قواعد اللغة العربية،المؤسسة الجامعة للدراسات والنشر والتوزيع،بيروت، ط.2، 1986،ص. 64 .

[3]مارك ريشل، اكتساب اللغة، تر.كمال بكداش، المؤسسة الجامعية للنشر والتوزيع، لبنان،1984 ،من ص.97 إلى ص.106.

الكلامي الذي تتم ملاحظته خلال الاكتساب هي سلوك في حالة تكون دائمّ، وينشأ عن التفاعل بين الطفل وبيئته على نحو يساهم فيه الطّفل بصورة فعّالة في مسار النمو"[1].

كما يؤكد " بياجيه " "أنّ التعلّم الحقيقي هو الذي يحصل عن التأمل والتروّي، فالتعزيز لا يأتي من البيئة كمكافأة، بل ينبع التعزيز بالذّات من أفكار المتعلم ذاته"[2].

" فالأشياء التي يتعلمها الطفل في طور نموه، لا يمكن تغييرها عن طريق المحددات المادية والاجتماعية والنضوجية فحسب، بل بالإمكان ردّها إلى عامل أساسي يقود عملية التعلم ويسميه "بياجيه " عامل الموازنة"[3].

فـ"بياجيه " يقدم تفسيرا بنائيا للغة عند الطفل، من خلال التأكيد على أنها تبنى على مراحل متعددة قبل أن تكتمل، وفي هذا الصدد يميز بين نوعين من اللغة:

- اللغة المتمركزة حول الذات langage egocentrique.
- اللغة الاجتماعي langage social وهي التي تمثل مستوى اللغة المكتملة عند الفرد الواعي لما يقول، حيث يدور الحوار في سياق عادي[4].

فبالنسبة للغة المتمركزة حول الذات، وهو مستوى اللغة عند الطفل يميز "بياجيه " بين ثلاثة أصناف من الكلام:

- التردد أو مرحلة المحاكات.
- المونولوج .
- المونولوج الجماعي.

---

[1] ميشال زكريا ، قضايا ألسنية تطبيقية ، ص104.

[2]المرجع نفسه، ص. 105.

[3]المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[4]مصطفى غلفان ،المرجع السابق ، ص. 37.

يعيد الطفل الحالة الأولى كلامه ويكرره حبّا وتلذذ بالكلام نفسه، من دون أن تكون هناك نية مقصودة في الكلام، أو دافع محدد له، أو أن يكون للطفل رغبة أو اهتمام بتوجيه الكلام لشخص آخر.

أمّا الحالة الثانية فتصاحب كلام الطفل مجموعة من الحركات اليدوية لدعم الكلام وتقويته، وأحيانا لتعويض الكلام نفسه، وكأن الطفل في هذه المرحلة يتكلم وهو يفكر بصوت عالٍ.

ويتشكل المرحلة الثالثة كلام الطفل من مجموع المواقف التي يكون فيها النشاط اللغوي مشتركا بين مجموعة من الأطفال، بحيث يظهر الأطفال وهم يتكلمون فيما بينهم، أو لأنهم في الحقيقة لا يهتمون بأن يسمعوا من قبل محاويرهم من الأطفال[1].

إذن فاكتساب اللغة في رأي "جون بياجيه " ليس عملية اشراكية بقدر ما هي وظيفة إبداعية، فهو يفرق بين الأداء والكفاءة، ورغم أن الطفل يكتسب التنمية المبكرة للأشياء عن طريق المحاكاة، ويقوم بعملية الأداء في صورة تراكيب لغوية، إلاّ أن الكفاءة لا تكتسب إلاّ "بناءاً على تنظيمات داخلية تبدأ أوّلية ثم يعاد تنظيمها وفق تفاعل الطفل مع البيئة الخارجية" [2]، ويقصد "بياجيه" بالتنظيمات الأولية وجود استعداد لدى الطفل للتعامل مع الرموز اللغوية التي تعبر عن مفاهيم تنشأ من خلال تفاعل الطفل مع البيئة منذ مراحله الأولى .

[1] مصطفى غلفان،المرجع السابق، الصفحة السابقة .

[2] ميشال زكريا ، قضايا ألسنية تطبيقية ، ص. 83.

ومجمل القول أنّ مسألة اكتساب اللّغة أكبر من تحتويها نظرية واحدة، رغم أن هناك اتفاقاً حول أهمية هذه المرحلة العمرية، منذ بداية استعداد الطفل لاكتساب اللغة حتى إعداد البيئة الاجتماعية والثقافية المحيطة به، وذلك من خلال العودة إلى النماذج اللغوية التي يتعامل معها الطفل.

الفصل الثاني

1- السيرة الذاتية لابن خلدون وآراء العلماء فيه:

1-1-السيرة الذّاتية لابن خلدون:

هو عبد الرحمن بن محمد ابن خلدون أبو زيد ولي الدين الحضرمي الإشبيلي:

ولد"ابن خلدون" في تونس عام 1332 (732 للهجرة) بالدار الكائنة بنهج تربة الباي رقم 34، أسرة "ابن خلدون" أسرة علم و أدب، فقد حفظ القرآن الكريم في طفولته، على الأستاذ " أبي عبد الله محمد بن سعد بن برال " بالقراءات السبع إفرادا وجمعا في إحدى وعشرين ختمة، ثم جمعها في ختمة واحدة، كما حفظ الشعر، وأخذ العلوم اللسانية من نحو وصرف وبلاغة وأدب، ومكانة عائلته الاجتماعية مكنته من الدراسة على يد أفضل المدرسين في المغرب الكبير.[1]

شغل أجداده في الأندلس و تونس مناصب سياسية و دينية مهمة، و كانوا أهل جاه و نفوذ، نزح أهله من الأندلس في منتصف القرن السابع الهجري، وتوجهوا إلى تونس، وكان قدوم عائلته إلى تونس خلال حكم دولة الحفصيين.[2]

يعتبر "ابن خلدون" أحد العلماء الذين تفخر بهم الحضارة الإسلامية، فهو مؤسس علم الاجتماع وأوّل من وضعه على أسسه الحديثة، و قد توصل إلى نظريات باهرة في هذا العلم حول قوانين العمران و نظرية العصبية، وبناء الدولة و أطوار عمارها وسقوطها، كما اهتم بالعلوم الأخرى كعلم الاقتصاد حيث قام بدراسة الأساليب الإنتاجية التي تعاقبت على المجتمعات البشرية، وانتقال هذه الأخيرة من البداوة إلى الحضارة، أي من الزراعة إلى

[1] محمدالعبد،الملكة السانية في نظرابن خلدون، عالم الكتب، (د.ط)، القاهرة، 1979،ص. 12.

[2] ابن خلدون، العبروديوان المبتدأ والخبر،مقدمة المحقق، دارالكتب العلمية، ط.1، بيروت، لبنان، ص.8.

الصناعة و التجارة. "ويعتبر ابن خلدون من أوائل العلماء الذين أشاروا للشبه بين القردة و الإنسان"[1].

" ثم نظر إلى عالم التكوين كيف ابتدأ من المعادن ثم النبات ثم الحيوان على هيئة بديعة من التدرج. كما اهتم بالفلسفة حيث امتاز "ابن خلدون" بسعة اطلاعه على ماكتبه القدامى على أحوال البشر و قدرته على استعراض الآراء و نقدها، و دقة الملاحظة مع حرية في التفكير، كما له مساهمة فعالة في علم التربية".[2]

كان" ابن خلدون" دبلوماسيا حكيما أيضا، وقد أرسل في أكثر من وظيفة دبلوماسية لحل النزاعات بين زعماء الدول: مثلا، عينه السلطان "محمد بن الأحمر" سفيرا له إلى أمير" قشتالة"، للتوصل لعقد صلح بينهما وكان صديقا مقربا لوزيره" لسان الدين ابن الخطيب"، وكان وزيرا لدى "أبي عبد الله الحفصي" سلطان بجاية، وكان مقربا من السلطان" أبي عنان المرينى "قبل أن يسعى بينهما الوشاة، وبعد ذلك بأعوام استعان به أهل دمشق لطلب الأمان من الحاكم المغولي "القاسي تيمور لنك"، وتم اللقاء بينهما، ووصف "ابن خلدون" اللقاء في مذكراته، إذ يصف مارآه من طباع الطاغية، ووحشيته في التعامل مع المدن التي يفتحها، ويقدم تقييما متميزا لكل ما شاهد في رسالة خطها لملك المغرب، الخصال الإسلامية لشخصية" ابن خلدون"، وأسلوبه الحكيم في التعامل مع "تيمور لنك" مثلا ، وذكائه وكرمه وغيرها من الصفات التي أدت في نهاية المطاف لنجاته من هذه المحنة، تجعل من التعريف عملا متميزا عن غيره من نصوص أدب المذكرات العربية و العالمية، فتتضح هنا الملامح الإسلامية لعالم كبير واجه المحن بصبر شجاعة وذكاء ولباقة.[3]

---

[1] ساطع الحصري، دراسات عن مقدمة ابن خلدون، دار الكاتب العربي، بيروت، 1967، ص. 90.

[2] ساطع الحصري، المرجع السابق، ص.90.

[3] ابن خلدون، العبروديوان المبتدأ والخبر، المرجع السابق، ص.15.

رحل" ابن خلدون" بعلمه إلى مدينة بسكرة حيث تزوج هناك، ثم توجه عام 1356 إلى" فاس" أين ضمه "أبو عنان المريني" إلى مجلسه العلمي، و أستعمله ليتولى الكتابة مؤرخا لعهده وما به من أحداث، قدر لـ"ابن خلدون" رحيل آخر عام 1363 ميلادي إلى" غرناطة" ومن ثم إلى" إشبيلية" ليعود بعد ذلك لبلاد المغرب، فوصل إلى قلعة "ابن سلامة" (مدينة تيارت الجزائرية حاليا) فأقام بها أربعة أعوام و شرع في تأليف كتاب العبر، وأكمل كتابته بتونس، ثم رفع نسخة من كتابه لسلطان تونس، ملحقا إيّاها بطلب الرحيل إلى أرض الحجاز، لأداء فريضة الحج، ووجد ابن خلدون سفينة تستعد للعودة إلى" الإسكندرية "فركبها، وتوجه إلى "القاهرة" أين قضى بقية حياته، وتولى هناك القضاء المالكي بمصر، بوصفه فقيها متميزا خاصة أنه سليل المدرسة الزيتونية العريقة.

عدّد المؤرخون "لابن خلدون" عددا من المصنفات في التاريخ و الحساب و المنطق، غيرأن من أشهر كتبه كتاب بعنوان: "العبر و ديوان المبتدأ و الخبر في أيام العرب و العجم و البربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر"، وهو يقع في سبعة مجلدات وأوّلها المقدمة ،و هي المشهورة أيضا بمقدمة" ابن خلدون"، وتشغل من هذا الكتاب ثلثه، وهي عبارة عن مدخل موسع لهذا الكتاب وفيها يتحدث" ابن خلدون" ويؤصل لآرائه في الجغرافيا و العمران و الفلك و أحوال البشر وطبائعهم و المؤثرات التي تميز بعضهم عن الآخر.[1]

[1] ساطع الحصري، المرجع السابق، ص.97.

دخل القاهرة واستوطن فيها وتصدر بجامع الأزهر، ثم ولّاه الملك " الظاهر برقوق "، قاضي القظاه المالكية بديار مصر سنة 786م للمرة الأولى، ومات وهو قاض في شهر رمضان، سنة 808م، ودفن" بمقابر الصوفية خارج باب النصر" وله من العمر 76 سنة و 25 يوما.[1]

[1] ابن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر، المرجع السابق، ص.8.

1-2- آراء العلماء فيه:

إن الكلام عن عبقرية الإنسانية الممثلة بـ"ابن خلدون" وعن رسالته في تاريخ العالم، ومظاهر عظمته فيما خلّفه من آثار وبصمات في عقول العلماء وخاصة في مقدمته، التي أنشأ فيها علماً جديداً، وهو ما يسمى الآن علم الاجتماع أو السوسيولوجيا، وأتى فيها بما لم يستطع أحد من قبله أن يأتي بمثله، بل عجز كثير ممن جاء بعده من الأئمة والباحثين وعلم الاجتماع أن يصلوا إلى رتبته، وهذا يدلّ على رسوخ قدمه في كثير من العلوم، حتى لم يغادره فرع من فروع المعرفة إلا ألمّ به ووقف على كنهه.

لقد رفع الدارسون –ابن خلدون– عربا ومستشرقين إلي مصاف الفلاسفة الكبار وكبار المفكرين, ومن أشهر المؤرخين العرب المعاصرين في تاريخ المغرب والأندلس؛ الدكتور"سعد زغلول عبد الحميد" الذي أجمل القول فيه فذكر أنه "صاحب نظريات سياسية. . . ونظريات اجتماعية من أهما نظرية التطور التاريخي"[1].

أما المفكر المصري "مصطفي الشكعة" فقد حكم بأنه"لم يقدر لأحد قبله سواء من علماء المسلمين أو غير المسلمين أن يعرض لدراسة الظواهر الاجتماعية دراسة تحليلية أدت إلي نتائج ومقررات مثل تلك التي أدت إليها مقدمة ابن خلدون"، وأن "نظرياته في العمران نظريات إسلامية الأسس والتكوين"[2].

ومن مؤرخي المغرب "العربي عبد الله العروي"فيتحدث عنه أنه: اسم ابن خلدون اسم جامع تختفي تحته شخصيات عدة؛ فهو يمثل راويه مثل غيره من الرواة. . . . مشاهدا بل صحفيا عندما

---

[1] إبراهيم أبو شريعة،آ راء المفكرين في ابن خلدون، 2008، ww.startimes.com/ ?=1364691

[2] الموقع نفسه.

يتكلم عن نفسه. . . مؤرخا يزاحم الإتقان والنباهة. . . فهو يوضع في سياق خاص بجانب المسعودي وفولتير"[1].

أما المفكر "محمد عاب الجابري" يقول "بأنه أبدع نظرية خلدونية في التاريخ الإسلامي وهو فضلا عن ذلك كان مفلسفا للتاريخ"[2].

ولأول مرة يجمع مؤرخو ومفكرو الغرب علي تمجيد أحد أعلام التراث الإسلامي، ويكفي شهادة فليسوف التاريخ المعاصر"Arnold toynbeeأرنولد توينبي" حيث يقول:" إن المجال الذي اختاره ابن خلدون بجهوده العقلية يبدو أنه كان سابقا فيه, فلم يطرقه أحد من أسلافه . ولم يكن له منافسون من معاصريه. . . وتعد مقدمته في فلسفة التاريخ بلا ريب أروع إنجاز من نوعه أبدعه عقل في أي زمان أو أي مكان"[3].

[1] إبراهيم أبو شريعة، الموقع السابق.

[2] الموقع نفسه.

[3] الموقع نفسه.

2- السيرة الذاتية لابن نبي وآراء العلماء فيه:

2-1- السيرة الذّاتية لابن نبي:

هو "مالك بن الحاج عمر بن الخضر بن مصطفى بن نبي" ولد في الخامس من ذي القعدة عام 1323 هـ، الموافق الفاتح من كانون الثاني (يناير) 1905، بمدينة قسنطينة إحدى المدن الكبرى شرقي الجزائر.

نشأ "مالك" في عائلة تعاني ضيقا ماليا شديدا، فكانت والدته تعمل فوق طاقتها لتسدد ما يريده مالك من نفقات المدرسة، حيث اهتمت الأسرة بتعليمه فأرسل الى المدرسة الحكومية (الفرنسية)، وفي نفس الوقت أرسل الى المدرسة القديمة لتعلم القرآن. وبعد المرحلة الابتدائية لم يقبل مالك في الكلية (الثانوية)، فقد كان من الصعوبة على طالب من أبناء المستعمرات أن يرسل بعد الابتدائية الى هذه المرحلة، مع أنه كما- يذكر كان- يستحق أكثر من جيد، لكن الدرجة التي هي أفضل منها أعطيت لطالب فرنسي، ولكنه حصل على منحة لمتابعة دروسه في التكميلية في قسنطينة بمدرسة "سيدي الجلي"، إذ كان يحضّر خلال سنة أو سنتين للدخول الى معهد المعلمين، وبعد سنة واحدة انتقل الى المعهد الذي سيمكث فيه أربعة سنوات التي كانت حافلة بالقراءة والمطالعة.[1]

وبعد تخرجه من المعهد صمم مالك الذهاب الى فرنسا مع صديق له للعمل هناك، وكانت وجهته في فرنسا الى ليون، حيث عمل هناك في مصنع للاسمنت، ولكن لم يطل به الأمر في فرنسا ورجع إلى مدينته الصغيرة تبسة، فعمل في محكمة تبسة معاونا قضائيا متطوعا.

---

[1] **محمد العبدة، مالك بن نبي مفكر اجتماعي ورائد اصلاحي، دار القلم، دمشق، ط.1،2006،ص.ص. 29.25.**

وبعد ذلك جاءه الجواب من النيابة العامة تعرض له العمل في ثلاث محاكم كمعاون قضائي، واختار محكمة" آفلو" في منطقة وهران غربي الجزائر، انتقل مالك بعد" آفلو" إلى محكمة "شلغوم العيد" (شاتودان)، وكانت هذه البلدة مركزا كبيرا للمستعمرين، ولم ينسجم مالك مع أعضاء المحكمة فاستقال وعاد الى تبسة.[1]

وبعدها قرر الذهاب إلى فرنسا، ولكن هذه المرة لمواصلة الدراسة، وليس للعمل، وكان ذلك عام 1930، لدراسة الحقوق في معهد الدراسات الشرقية والتي لم يوفق في الدخول اليه، وفي تلك الفترة تعرف على جمعية اسمها " الوحدة المسيحية للشبان البارسيين " فانتسب إليها، وكان هو المسلم الوحيد فيها، وفي تلك الفترة أيضا سجل اسمه في مدرسة " الكهرباء والميكانيك "، "قسم اللاّسلكي" للحصول على درجة مساعد مهندس ، وواكب وجوده في فرنسا تأسيس مجموعة من طلبة شمال إفريقيا تسمّى " وحدة طلبة الشمال الإفريقي المسلمين "، وكان هو حلقة الوصل بين المجموعتين، ولما أنشأت وحدة المسلمين، مجلة شهرية كتب مقدمتها " مالك " وحينئذ بدأ مالك بإلقاء المحاضرات، وأول محاضرة ألقاها بفرنسا في ديسمبر عام 1930، بعنوان " لماذا نحن مسلمون " وأدخل فيها مفاهيم فلسفية، حيث أثارت عبارته " الروّح تصنع المادّة " انتباه الجالسين، بحيث أظهرت اتجاهه المثالي في الفلسفة، المعارض للاتجاه المادّي.[2]

وانتقل في عام 1956 إلى القاهرة ولم يعد بعدها إلى فرنسا، وافترق عن زوجته " خديجة "، وتزوج ثانية وأنجب توأم بنات عام 1961، ثم رزقه الله ببنت أخرى، وبقي في مصر يحاضر ويناقش ويؤلف إلى عام 1963 ،بعدها عاد إلى الجزائر وبقي نشيطا في

[1] محمد العبدة، المرجع السابق، ص.30. 31.

[2] مالك بن نبي، مذكرات شاهد القرن، دار الفكر، دمشق، ط.1،1971، ص. 35.

العمل الفكري[1]. وعين سنة 1964 كمدير عام للتعليم العالي،فواصل مع ذلك إلقاء المحاضرات والتأليف، فصدر له آفاق جزائرية وكذلك الجزء الأول من مذكراته.

ولقد ألّف معظم كتبه باللغة الفرنسية، وبعضها باللغة العربية ثم ترجمت الكتب إلتي كتبها بالفرنسية الى العربية، وله مايزيد عن 20 كتابا مطبوعا، وقد طبع الكثير منها " بالقاهرة " و"دمشق" و"الجزائر"، ومن بعض مؤلفاته " الظاهرة القرآنية، شروط النهضة، ميلاد مجتمع، مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي، مشكلة الثقافة، المسلم في عالم الاقتصاد، تأملات، مذكرات شاهد القرن، وغيرها.[2]

وفي عام 1973م أثناء رحلته الى مدينة الأغواط، حيث كان يلقي بعض المحاضرات هناك، اشتدّ عليه المرض، وكان قد أصيب بسرطان " البروستاتا "، فسافر للعلاج في فرنسا، أجرى عملية فيها، واشتدّ المرض عليه بعدها، وعاد" مالك بن نبي" الى الجزائر، ليتوفاه الله في 4شوال عام 1393هـ، الموافق لـ31 أكتوبر 1973م.[3]

[1]أسعد السحمراني، مالك بن نبي مفكرا إصلاحيا، مطبعة النفائس، بيروت،ط.2 ،1984 ، ص. 18.

[2]عبد الله العويسي ، مشكلة الحضارة، ،جامعة طيبة، الرياض، (د.ط) ،1413 هـ،ص. 196.

[3] أسعد السحمراني، المرجع السابق، ص. 18.

2-2- آراء العلماء حول مالك بن نبي:

إذا حددت مكانة "ابن نبي"، فهو ذلك المفكر والمصلح والإنسان بكل ما تحمله هذه الكلمات من معنى، وهذا ما يتميز به على صعيد الفكر العربي وتداعياته مشرقا ومغربا، وهذا ما عبر عنه الكثير من المثقفين والمفكرين العرب ممن عاصروه أو جاؤوا بعده، بعد اطلاعهم على منحاهم الفكري ومواقفه على أكثر من صعيد، ولذلك كان "مالك بن نبي "محطّ أنظار الآخرين من خلال أفكاره الواسعة التي استطاع أن يقنع بها الناس، فكانت كلمته الموجهة هي التي ميزته عن غيره، فكان لبعض الأساتذة آراء كثيرة ومواقف متعددة، ومن بينهم الأستاذ "فوزي الحسن" الذي كان على علاقة وطيدة به استمرت لسنوات، وحفزت في مخيلته شواهد دالة على حقيقة وعظمة شخصية فكرية جزائرية متوقدة، يقول: "كان ذا ثقافة واسعة إذ يجيد الحوار و الرد على رسائله بشكل مقنع شاف، حتى أنه كان يستطيع تحديد اختصاص السائل العلمي لمجرد توجيه الاسئلة لأي موضوع، كان ينشر كتبه لغرض إيصال فكرة، ولذلك فهي تباع بسعر زهيد مما يوقعها بعجز يسده من جيبه".[1]

فالأستاذ "فوزي الحسن" يوضح بصدق حقيقة معاناة "مالك بن نبي" في ظل جهده لإيصال أفكاره ورغبته في بعث عالم آخر، عالم متحضر ومتجدد والنهوض من سباته بعد سيل من الركامات والانهزامات.

يقول الأستاذ "عمر مسقاوي": "تنطلق أفكار "بن نبي" لا لتضيف في المجتمع الاسلامي معرفة جديدة بالفقه، أو علما مستخلصا من تجارب الحضارة الحديثة،بل لتنظيم

[1]بشير ضيف الله، "فلسفة الحضارة في فكر مالك بن نبي"، مجلة اصوات الشمال، العدد 42، الجزائر، 2005، ص25.

هذه المعارف في مفاهيم تربوية تسير بالانسان خطوة متقدمة، فهو يطرح الاسلام كمُلهم لقيمنا، وقادر على استعاجة دور الإنسان مبرّأ من ثقل الحضارة الإمبراطورية ، وهو يرى أن الإسلام لا يقدم إلى العالم ككتاب وإنّما كموقع اجتماعي يسهم بشخصيته في بناء مصير الإنسانية".[1]

يقول الدكتور "مصطفى السباعي": "استطاع بأسلوبه الذي تفرّد به، وثقافته الغربية الواسعة مع ثقافته العربية الإسلامية أن يوجه إليه أنظار جيل من شبابنا المثقف الذي يَتوق إلى الإصلاح مع احتفاظه بقوة العقيدة، وسلامة التفكير"[2]، ويرى "مصطفى السباعي" في الأستاذ "بن نبي" رائده الفكري البعيد النظرة القوي الإيمان المناضل بقلمه في سبيل الإسلام"[3].ممّا يعني أنّ مالكا استقطب بفكره طلائع الشباب العربي التواق إلى وجهة راكدة عنوانها الرّدة والاستعمار والضعف.

ومن بين ما قال عنه "أنور الجندي": "أنه يختلف كثيرا عن الدعاة المفكرين ، والكتاب، فهو فيلسوف أصيل له طابع العالم الاجتماعي الدّقيق الذي أتاحت له ثقافته العربية والفرنسية أن يجمع بين علم العرب وفكرهم المستمد من القرآن والسنة والفلسفة والتراث العربي الإسلامي الضخم، وبين علم الغرب وفكرهم المستد من تراث اليونان، والرّومان والمسيحية"[4].

---

[1] بشير ضيف الله،المرجع السابق، ص.26.

[2] المرجع نفسه، ص.25

[3] المرجع نفسه،الصفحة نفسها.

[4] المرجع نفسه،ص.28.

وهذا ما يؤكده الأستاذ "محمد المبارك"حيث يقول: "إنّه عربي مسلم ليس من المجتمع الأروبي الذي عاش فيه بجسمه في شيء، وكان تعمقه في الثقافة الأروبية سببا في تحرره من نفوذها ومعرفته لمصادرها ولدوافعها الخفية وبواعثها العميقة ولا سيما أنه جمع إلى جانب الثقافة العلمية ثقافة فلسفية واجتماعية واسعة الأرجاء، عميقة الأغوار، كما تدل عليه آثاره ومؤلفاته الحديثة التي قرأناها ... لقد تجمعت في قلبه ونفسه، في عاطفته وشعوره، في عقله وتفكيره، مآسي أولائك الملايين من البشر الذين يعيشون على أرض الجزائر ضحايا مدينة القرن العشرين، وأمثلة بارزة لانحطاط أهدافها، وغاياتها"[1].

ورغم أنه كان يعيش في الغربة إلا أنه كان يعيش للجزائريين لأن الجزائر كانت الوطن الأم، باعتبارها جزء من أمّة كاملة تعاني ما تعاني، وكان الإسلام في منظور "بن نبي" فكرة دينية عملية واقعية خالية من التعقيد والتشنجات الخارجية عن اطار القيمة الحقيقية المبتغات من الاعتقاد الصادق و الصحيح لهذا الدين، فالإنسانية مُدينة له وبحاجة إليه كلما تداعت القيم، وتهاوت الطروحات.

[1] **بشير ضيف الله، المرجع السابق،ص28**

2-1- الملكة اللّسانية عند ابن خلدون:

لقد تعددت آراء الباحثين والدّارسين، واختلفت وجهات نظرهم حول الملكة اللّسانية، فلكل تصوّره الخاص ونظرته الخاصة حيال هذه القضية، فكيف إذن هي نظرة كل من "ابن خلدون" و"مالك بن نبي" حول الملكة اللّسانية، وما هي آراؤهم فيها؟.

عندما تحدّث "ابن خلدون" عن الملكة جعلها في قسمين: الأوّل عام، والثاني خاص، فأمّا الأوّل يقصد منه احتواء الشّيء، والثاني هو منسوب إلى اللسان، فعبّر عنها بمصطلح الملكة اللّسانية، بحيث جعلها نظرية أساسية، واعتمد عليها في دراسة جميع ظواهر اللّغة واعتبرها المحرّك الأساسي الأول في آرائه اللغوية.

فالملكة بمفهومها عند "ابن خلدون" صفة راسخة في النّفس تتم نتيجة استعمال الفعل وتكراره مرّات عديدة، إذ يقول في هذا الصدد: " والملكة صفة راسخة تحصل من استعمال ذلك الفعل وتكرّره مرّة بعد أخرى وحتى ترسخ صورته وعلى نسبة الأصل تكون الملكة "[1].هذا يعني أنّ تحصيل الملكة لدى الفرد لا بدّ من تكرار الفعل مرّات عديدة حتّى تترسّخ في ذهنه، على سبيل المثال أهل العرب، كي تترسّخ لديهم ملكة اللغة وينطقونها نطقا لغويا سليما يستوجب عليهم سماع كلام أهل جيلهم، وذلك في أساليبهم وتعبيرهم ومخاطباتهم وتكرار ما يسمعون حتّى تتكوّن لديهم ملكة لغوية سليمة.

وفي موطن آخر يؤكد "ابن خلدون" على أهمية تكرار الأفعال في حصول الملكة فيقول: "والملكات لا تحصل إلاّ بتكرار الأفعال، لأنّ الفعل يقع أوّلاً وتعود منه للذّات صفة، ثم تكرر فتكون حالاً، ومعنى الحال أنّها صفة غير راسخة، ثم يزيد التكرار فتكون ملكة أي صفة راسخة"[2]. بعنى أنّ الفعل إذا تكرّر مرّة واحدة فلا يتمّ حصول الملكة، وبالتّالي تصبح

---

[1] ابن خلدون، المقدمة، ص.856.

[2] المرجع نفسه، ص.1140.

صفة غير راسخة في ذهن الفرد، لكن إذا ما تكرّر هذا الفعل مراراً فستصبح هذه الملكة راسخة في ذهن المتكلم.

لقد تعرّض "ابن خلدون" عند حديثه عن الملكة إلى تقديم فرق بينها وبين الطّبع، باعتبار الملكة فعل اختياري غير غريزي أو فطري، فهي لا تحدث دون فكر وتعب مثل الطّبع، الذي لا يوجد فيه أي كلفة أو تعب فيقول: "الأفعال الاختيارية كلّها ليس شيء منها بالطبع، وإنّما هو يستمدّ بالقدم والمران حتى يصير ملكة راسخة فيضنّها المشاهد طبيعية"[1] .

فمثّل لهذا الفرق بين الملكة والطبع بحديث العرب بالفصحى، وهو أن كلامهم هذا ليس طبعا جاهزا دون تعلم، وإنّما هو ملكة تكونت ورسخت فيهم فأصبحت لا شعورية، ويقول في هذا الصدد: "ولذلك يظن كثير من المغفلين ممن لا يعرف شأن الملكات أنّ الصواب للعرب في لغتهم إعراباً وبلاغةً أمر طبيعي، ويقول كانت العرب تنطق بالطبع، وليس كذلك، وإنما هي ملكة لسانية في نظم الكلام تمكنت ورسخت ، وظهرت في بادئ الرأي أنّها حيلة وطبع"[2].

ومن هنا، فالفرق بين الملكة والطبع في نظر "ابن خلدون" يكمن في الملكة تكون قبل اكتسابها أمرا شعوريا، وبعد إكتسابها تكون لا شعورية ، في حين يكون الطبع منذ بدايته غير شعوري باعتباره فطري ولد مع الانسان.

وبهذا فإنّ الملكة اللّسانية هي مصطلح خاص بـ"ابن خلدون" ويقصد به: قدرة اللسان على التحكم في اللّغة والتصرف فيها إذ يقول: " اللغة ملكة في اللسان وكذا الخط صناعة ملكتها اليد"[3]. فلقد قدّم "ابن خلدون" تصوراص للملكة اللسانية وذلك من ناحيتين: ناحية

---

[1] **ابن خلدون ، المرجع السابق، ص.1104.**

[2] **المرجع نفسه، ص.1149.**

[3] **المرجع نفسه، ص.1126.**

الألفاظ المركبة، وناحية تمكن الملكة اللسانية لدى المتكلم بالتكرار والمعايشة، لاوبالتّاليي يقرّ أن تمام الملكة إنّما هو بالنّظر إلى التراكيب اللّغوية، لا بالنّظر إلى المفردات، وذلك لأن اللغات كلها ملكات للتعبير عن المعاني، وبالتالي إيصال المعنى لا يتم باللّفظ المفرد، وإنّما يكون بالتراكيب المؤلفة من الألفاظ، فيقول في هذا الصدد: " أعلم أن اللّغات كلها ملكات شبيهة بالصناعة، إذ هي ملكات في اللسان للعبارة عن المعاني، وجودتها وقصورها بحسب تمام الملكة أو نقصانها، وليس ذلك بالنّظر إلى المفردات وإنّما بالنظر إلى التراكيب"[1].

فهذه النظرة السّابقة للملكة اللسانية بشقيها لايقصد بها "ابن خلدون" اللغة العربية وحدها، وإنما هي فكرة عامة تنطبق على كل اللغات الإنسانية، لأن اللغات إحدى مظاهر المجتمع الإنساني، بل هي أخطر هذه المظاهر جميعا، وهو في مقدمته الشهيرة يتحدث عن مظاهر المجتمع والعمران بفهم عميق لقوانينها وتطورها وعوامل رقيّها وفسادها، مما يُكَوِّن نظريته الاجتماعية المتكاملة، وهذه النظرة السابقة عن اللغة إحدى جزئيات هذه النظرية.

وبهذا يكون "ابن خلدون" من اللسانيين الأوائل الذين وضعوا تصوراً كاملا للملكة اللسانية، وذلك من حيث الاعتماد على الجملة لا على المفردات، ومن حيث حصولها من المعايشة والنطق في بيئة الفرد، وهذا ما جعله يقول: " وهكذا تصير الألسن واللّغات من جيل إلى جيل ويتعلمها العجم والأطفال، وهذا معنى ما تقوله العامة من أن اللغة للعرب بالطبع أي بالملكة الأولى التي أخذت عنهم، ولم يأخذوها عن غيرهم"[2] .

[1] ابن خلدون، المرجع السابق، ص.1140.

[2] نعمان بوقرّة، محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة، مكتبة الآداب،جامعة عنابة،الجزائر، 2006،ص.163.

وهذا يعني أن العرب يسمعون كلام أهل جيلهم وفي أساليبهم في تعبيرهم، ومخاطباتهم إلى أن يصير ذلك ملكة وصفة راسخة، فهذا يدل على أنّ الملكة تتكون لدى الأشخاص أثناء فترة طويلة تؤهلهم إلى استعمال اللغة استعمالا سليما.

لقد تطرق "ابن خلدون" إلى موضوع خطير وهو "صلة النّحو بهذه الملكة اللسانية" ، فيقول في صناعة العربية وقوانين الإعراب "إنّما هي معرفة قوانين هذه الملكة ومقاييسها خاصة، فهي علم بكيفية لا نفس الكيفية"[1] ، وبالتالي فإن "ابن خلدون" قد شرح هذه الفكرة وذلك بالتفريق بين الملكة وقوانين الملكة، أي بين العلم النظري والخبرة العلمية بالتجربة، بحيث يقدّم دليلاً على ذلك لمن يجيد العلم بصناعة النجارة ولا يمارسها عملا، فإذا سالته عنها شرحها قائلاً: " أن تضع المنشار على رأس الخشبة وتمسك بطرفه قبالتك ممسك بالطرف وتتعاقبانه بينكما، وأطرفه المضرسة المحدد تقطع ما مرّت عليه ذاهبة جائية، إلى أن ينتهي إلى آخر الخشبة"[2]، ففي رأي "ابن خلدون" أنّه لو طُلب من هذا الذي يجيد العلم بصناعة النجارة القيام بهذا العمل لم يحكُمه، وليؤكد رأيه قدّم مثالا آخر في هذا الشأن قائلا: "أن كثيرا ممن درسوا النحو وتعمّقوا في أصوله وفروعه وأفنو أعمارهم في البحث عن مسائله ومشاكله ولم يجيدوا هذه الملكة اللسانية، لا يستطيعون التعبير اللغوي الصحيح بينما

[1] ابن خلدون، المرجع السابق، ص.1275.

[2] المرجع نفسه، ص.1277.

كثيرا من الكتاب والشعراء والبلغاء ممن أجادوا هذه الملكة يعبرون بطلاقة وسلاسة كما يريدون، وإن هم لم يتعمقوا في دراسة النحو وقضاياه"[1].

فهذه الفكرة السابقة التي اقرّ بها "ابن خلدون" تتماشى مع ما تقرّه الدراسات اللغوية الحديثة، إذ تفرق بين الكلام واللغة، فالكلام من خواص الفرد، واللغة من خواص الجماعة، الكلام هو نشاط حي فيه جدّة الاستعمال وحيويته، واللغة نظم مجمدة في قواميس وكتب النحو والصرف.

"والمتكلم حين يستعمل اللغة، فإنه يلجأ إلى ما يطلق عليه (محاكاة النظير) أي أنه يتكلم اعتمادا على مخزونه الذي اختزنته في ذهنه مما اكتسبه من نظم البيئة اللغوية التي يعيش فيها، أو بعبارة أخرى إنّ هذا المتكلم لا ينطق كيفما جاء أو اتفق، بل يتكلم بحسب العرف والعادة للغة المجتمع الذي يعيش فيه، تلك التي اكتسبها بتدريب الملكة اللسانية وتعودها "[2].

وبالتالي يقرّ "ابن خلدون" أنّ "هناك فرق بين ما يعتاده المتكلم من نظم اللغة التي يقيس عليها، وما يفعله العالم النحوي من وضع القواعد والقوانين، الأول يتكلم دون قصد وتعمّد، أما الثاني فنية العمل فيه واضحة مقصودة، الأول يتعوّده الشعور حتى يصبح عادة من عاداته كالمشي والطعام، والآخر مقاييس محددة موضوعة للاكتساب والفهم، الأول إنعكاس الاستعمال على ناطق اللغة، والآتي آراء الدارسين المقنّنة لمن سيتعلم اللغة"[3].

[1] ابن خلدون، المرجع السابق، الصفحة السابقة.

[2] المرجع نفسه،الصفحة نفسها.

[3] المرجع نفسه، ص.1278.

وبهذا "فالدّور الذي تؤديه كتب النحو في نظر "ابن خلدون" مرتبط بفهمه للملكة اللسانية واعتمادها أساسا على النصوص اللغوية"[1]، وهذا ما يجعل القارئ يستخلص بأن النحو هو بمثابة قوانين الملكة اللسانية، فهو حارس لها بعد تحصيلها من النصوص.

ويعرج "ابن خلدون" إلى موضوع آخر وهو قضية اكتساب الملكة اللسانية، ففي رأيه تكتسب هذه الأخير عن طريق الحفظ، واستدل في رأيه هذا بحفظه القرآن الكريم باعتباره ذو منزلة لا ترقى إليها منزلة أخرى في الكلام، فهو نموذجا مثاليا لبلاغة الكلام العربي، نظرا لما يحويه من أمور غيبية، وترابط ومراعاة الآداء للمواقف المختلفة ...إلخ، وبالتالي فتعلّم القرآن الكريم هو أساس الثروة اللغوية التي يحصلها دارس الفصحى، فحصول الملكة اللسانية يكون من تعلّم القرآن، "فابن خلدون" يرى "أن الاقتصار على تعلم القرآن نشأ عنه القصور عن ملكة اللسان جملة"[2]، ويعلّل ذلك بأنّ البشر مصرفون عن الإتيان بمثله ومحاكاته مشيرا إلى قوله تعالى:﴿ قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾(الآية 88 من سورة "الإسراء).

إذن فالنتيجة التي توصل إليها "ابن خلدون" من خلال ما سبق، أن المقتصرين على تعلم القرآن قاصرون في ملكة اللسان العربي، إذ لا تحدث لهم هذه الملكة به أو بغيره، ومن أراد أن تكون لديه ملكة لسانية فنية فما عليه سوى الحفظ وموالات الحفظ.

[1] ابن خلدون، المرجع السابق، الصفحة السابقة.

[2] المرجع نفسه، ص.1286.

العوامل المؤثرة في الملكة اللّسانية :

ممّا لا شك فيه أنّ الملكة اللسانية كأي صفة انسانية أخرى معرّضة لأحداث تؤثر فيها، ولهذا توسّع "ابن خلدون" في حديثه عن التغيّر الممكن لها حصوله للملكة اللّسانية خلال مسار اللغة، لذلك قد سبب هذا التأثر إلى عوامل غير لغوية، وا يمكن أن تكون ناجمة عن الاختلاط، وما ينشأ عنه من تمازج بين اللغات أو من عنصر آخر ،وهو العُجمة.

أوّلاً: الاختلاط:

يعتبر هذا العنصر عاملاً من عوامل التطور اللغوي الذي يصيب اللغة، بحيث عبّر عنه بعض الباحثين بمصطلح التسمم اللغوي، بحيث يبدأ تسرّب عوامل دخيلة من لغات أخرى تحتاج إليه اللغة العربية فتتقبّلها، بل تحس مع تعاطيها لهذه العوامل في البداية بمزيد من الانتعاش والقوة، يشجّعها تقبل جرعات أكبر من هذه العوامل الدّخيلة، فهذا الأمر حسب ما يراه "ابن خلدون" كان سببا واضحا في فساد الفصحى لدى العرب، إذ يقول: " ثم فسدت هذه الملكة لـ"مضر" بمخالطتهم الأعاجم ، وسبب فسادها أنّ الناشيء من الجيل صار يسمع في التعبير عن المقاصد كيفيات أخرى غير الكيفيات التي كانت للعرب من غيرهم، ويسمع كيفيات العرب أيضا، فاختلط عليه الأمر وأخذ من هذه وهذه، فاستحدث ملكة وكانت ناقصة عن الأولى، وهذا معنى فساد اللّسان العربي"[1].

فمن خلال حديث "ابن خلدون" عن فساد الملكة اللسانية فهو يخص العربيّة، دون غيرها من اللغات بهذا الرأي، والذي أعيد مجمله إلى الاختلاط، بطبيعة الحال هي نتيجة

[1] ابن خلدون، المرجع السابق، ص.1141.

حتمية، وذلك بمجيء الإسلام وانتشاره بين الأمم، ودخول غير العرب على الإسلام ومخالطتهم، أدّت إلى فساد الملكة اللسانية عند العرب وفي هذا الصدد يقول: " فلمّا جاء الإسلام وفارقوا الحجاز لطلب المُلك، الذي كان في أيدي الامم والدّول وخالطوا العجم، تغيّرت تلك الملكة بما ألقى إليها السمع من المخالفات، والسمع أبو الملكات اللسانية"[1].

وبهذا فإنّ "ابن خلدون" قد عالج مسألة فساد الملكة على طريقة علم الاجتماع، وفسّرها من منظور العزلة والاختلاط ومدى تأثير ذلك على الملكة.

ثانياً: العجمة وتزاحم اللغات :

الأعاجم صنفان: صنف أجنبي تماما من العرب لا يعرف العربيّة، وصنف آخر مولّد لغته مصنوعة مخلّطة فهم ليسوا أهل للثقة.

واعتبر "ابن خلدون" هذا العنصر من بين العوامل المؤثرة في الملكة اللسانية وفسادها، باعتبار الأعاجم الدّاخليين في الإنسان العربي كانت لهم لغة أخرى ، ...للنطق بالعربية استعانة بمن يخالطونهم من العرب، وهم أيضا في هذه المرحلة المتأخرة لا يملكون ملكة اللّسان المطلوبة، فقد ذهبت عنهم وبعدوا عنها، وإذ لجأ هؤلاء الدّاخلون (الأعاجم) في الإنسان العربي إلى تحصيل الملكة بالاستعانة بالقوانين اللغوية (قوانين الإعراب)، فإنّهم لا يحصلون على إجادة اللسان، بل يحصلون على أحكامه فقط " والفرق واضح بين إدراك الملكة وبين إدراك قوانينها، ... وهذه القوانين إنّما هي وسائل للتعليم، لكنّهم أجروها على غير ما قصد بها، وأصاروها(جعلوها) علما بحتا وبعُدت عن ثمرتها "[2].

[1] ابن خلدون،المرجع السابق ، ص.1129.

[2] المرجع نفسه، ص.1148.

هذا من جهة، ومن جهة أخرى فالسبب الآخر لقصور ملكة هؤلاء الأعاجم فيتمثل في : "أنّ النفس البشرية لا تتّسع إلاّ لملكة واحدة، وهي في الغالب ما يسبق إلى النّفس من الملكات، وإن حُصل أكثر من ملكة تبقى ناقصة مخدوشة"[1].

وبهذا تبقى مسألة العجمية والاختلاط بين الأمم من بين المسائل التي تؤخّر في الملكة اللسانية، لأن من خلال هذين العاملين (العجمة والاختلاط) تتكون هناك ملكة مستوية (مليئة) بعناصر غريبة، والسبب في ذلك حصول ملكة منافية للملكة المطلوبة.

ثالثاً: اختلاف الزّمـــان والمـــكان:

إنّ اختلاف الزمان والمكان له تأثير على الملكة اللسانية، لأنه كلّما اختلف هذان العنصران اختلفت اللغة، وذلك سواء في جانبها الصوتي أو النحوي أو الدّلالي، وهذا ما صرّح به "ابن خلدون" في مقدمته " اختلفت اللغة المضرية القديمة عن لغة عهده لأنّ اللسان العربي فسد بفساد الأعراب في أواخر الكلم"[2].

[1] **المرجع نفسه، ص.1126.**

[2] **ابن خلدون، المرجع السابق، ص.ص.558، 559.**

3-2- الملكة اللسانية عند مالك بن نبي:

لا يمكن الحديث عن الثقافة في المجال العربي، وعلى مستوى الفكر الإسلامي، دون التطرق إلى "مالك بن نبي" الذي شغلته قضية الثقافة التي هي الأكثر حضورا وأهمية على مستوى الدراسات الفكرية الإسلامية.

يرى "ابن نبي" أنّ الثقافة نظرية في السلوك، أكثر من أن تكون نظرية في المعرفة، وبهذا يعرّف "ابن نبي" الثقافة في قوله:" أنّها مجموعة من الصفات الخلقية، والقيم الاجتماعية التي تؤثّر في الفرد منذ الولادة، وتصبح، لا شعوريا العلاقة التي تربط سلوكه بأسلوب الحياة في الوسط الذي ولد فيه"[1].

فهي على هذا التعريف، المحيط هو الذي يشكل في الفرد طباعه وشخصيته والذي يتحرّك في نطاقه الإنسان المتحضّر باعتبار المحيط هو الذي يعكس حضارة معينة، أو بتعبير آخر أن الإنسان مرتبط ارتباطا وثيقا بالمجتمع الذي يعيش فيه، يؤثر فيه ويتأثر به، حيث يستمد منه جملة من الافكار والطّبائع، وبالخصوص اللغة التي يتفاعل ويتواصل بها مع بني جنسه، باعتبار المجتمع هو الذي يعكس ثقافة وحضارة الفرد كما سبق الذكر.

كما يستخلص أنّ "مالك بن نبي" يرى أنّ الثقافة فلسفة وقيم خلقية فردية واجتماعية، تؤثّر في تكوين وتنشئة الفرد منذ الطفولة، بحيث تصبح نمطا لصيقا بحياته، ووشما مميزا لسلوكه، يصنع بها كل دقائق حياته، وفق النمط الذي تشكّل فيه.

[1] **ابن نبي، مشكلة الثقافة، تر.عبد الصبور شاهين، دار الفكر،دمشق، ط.4، 1984، ص.74.**

وانطلاقا من هذا، فإنّ "ابن نبي" يرى:" هذا التعريف يُضَمُّ في دفتيه فلسفة الإنسان وفلسفة الجماعة، أي مقومات الإنسان ومقومات المجتمع التي تستوجب ضرورة إنسجامها جميعا في كيان واحد"[1].

ويواصل "ابن نبي" حديثه عن الثقافة فيحدد فهمها في إطار التاريخ، وتطبيق الثقافة كما يحددها في إطار التربية، فالثقافة إذن حسب رأيه :" ينبغي أن يتصل معناها بالتاريخ ولا يمكن أن نتصوّر تاريخا بلا ثقافة، والشّعب الذي يفقد حتما تاريخه"[2].

الثقافة بهذا المعنى، أي في اتصالها بالتاريخ في نظر "ابن مالك"هي:" تلك الكتلة وما تتضمنه من عادات متجانسة وعبقريات متقاربة وتقاليد متكاملة، وأذواق متناسبة، وعواطف متشابهة"[3].

كما يحدّد أيضا معنى الثقافة في التربية، من خلال صياغة هدفها وما تتطلبه من وسائل التطبيق، وأما الهدف، فباعتبار أن الثقافة ليست علما خاصا بطبقة من الشعب دون أخرى وإنما هي:"دستور تتطلبه الحياة العامة بجميع ما فيها من ضروب التفكير والتنوع الاجتماعي..."[4].

فهذا يدل على أن الثقافة لا تخصّ طبقة دون أخرى وإنما تخص جميع الطبقات دون تمييز على حدّ تعبير "ابن نبي" ، ومن جهة أخرى تحدّث عن نقطة تتمثل في تطبيق

[1] ابن نبي،المرجع السابق، الصفحة السابقة.

[2] المرجع نفسه، ص.86.

[3] المرجع نفسه، ص.87.

[4] المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

الثقافة حيث يقول: "وتطبيق الثقافة بمعنى أن تتحول الثقافة إلى أسلوب حياة في المجتمع بحيث تؤثر على كافة طبقاته الاجتماعية..."[1].

فمن خلال ما تقدّم من تعريفات للثقافة وعلاقتها بالمجتمع، وأهميتها في الحصول على اللغة، فيمكن الإستنتاج أنّ الثقافة هي بمثابة المحيط الفكري والاجتماعي والنفسي والأخلاقي والرّوحي، الذي يحتضن الوجود الانسانيفي المجتمع، ويدعمه بالخبرة المعرفية والسلوكية والجمالية، فهذا المحيط (المجتع) هو الذي يشكر طباع وشخصية وذوق الفرد الثقافي.

إذن الثقافة هي نظرية في المعرفة ومنهج في السلوك وطريقة في العمل والبناء.

لقد عرّج "ابن نبي" إلى فكرة أخرى، وهي أنّ اللغة تتعرض لأمراض، وفي هذا الصدد يقول: "وممّا زاد الطين بلة في الفترة الاستعمارية، أن الجبهة الشّعبية كان لها على الحياة العامة الجزائرية نفس التأثير الذي كان لها بفرنسا وبوجه خاص، لقد فتحت في الجزائر محابس فاستولى على كل فرد داء الكلام ، كلامه، أو كلام جاره،...وأنه لداء قتّال"[2].

هذا يدل على أن اختلاط اللغتين العربية والفرنسية، أو ما يعرف بتزاوج اللغتين الذي أنتج فسادا في اللغة (الملكة اللسانية)، كما أن المصاب بمرض من أمراض الكلام يؤدي به إلى خسائر في الرصيد اللغوي بحيث تجعله يستغني عن بعض الأصوات اللغوية لصعوبة نطقها.

---

[1] **ابن نبي،المرجع السابق، ص.88.**

[2] **مالك بن نبي، مذكرات شاهد للقرن(الطالب)، دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر، دمشق، ط.1، 1971،ص.262.**

لقد تحدث "مالك بن نبي" عن الحضارة، وحاول أن يقدّم لها مفهوما خاصا به، باعتبار ها لا تعرف تعريفا واحدا موحّدا، وبالتالي لا بدّ أن يُنظرَ إليها من عدّة زوايا فتناولها تناولا أكثر شمولية، من جهات تركيبها وتكوينها ووظيفتها وتطورها تاريخيا واجتماعيا، فهو يرفض أن ينظر للحضارة من وجهة نظر الأنثربولوجيا ويفضّل من وجهة نظر وظيفية، فيقول: "هي عبارة عن مجموعة الشروط الأخلاقية والمادية التي تتيح لمجتمع معين أن يقدّم لكل فرد من أفراده في طور من أطوار وجوده منذ الطفولة إلى الشيخوخة، المساعدة الضرورية في هذا الطّور وذلك من أطوار نموّه"[1].

إذن فـ"مالك بن نبي" ينظر إلى الحضارة من خلال الخدمات الأخلاقية والمادية التي يحصل عليها كل فرد من المجتمع، سواء أكانت صدقةً، أو زكاةً، أو كفالةً، أو إعانةً، أو تعليماً أو تكويناً، فهي أنماط من الضمانات التي تصون أفراد المجتمع لأن حضور الفعل الحضاري في المجتمع هو مقياس حقيقي للمجتمع المتحضر، الذي يتشكل ويتغير عبر الفعل الكرونولوجي للوصول إلى الرقي والازدهار. فالمجتمع التاريخي المتطور هو الذي يصنع الحضارة، وليست الحضارة سوى محصلة تفاعل الجهد الإنساني مع سنن الآفاق والأنفس والهداية، من أجل الترقي المعرفي والروحي والسلوكي والعمراني في عالم الشهادة.

لأن الحضارة إنجاز خلال الزمن التاريخي، ويشمل هذا الإنجاز كل مجالات الحياة الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والعسكرية ولذلك يؤكد مالك بن نبي على فكرة أنّ الحضارة تولد منتجاتها أو هي التي تصنع منتجاتها، وكل استيراد لمنتجاتها ومعالمها لا

[1] آمنة تشيكو، مفهوم الحضارة عند مالك بن نبي وأرنولد توبهي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1989،ص.43

يعتبر إنجازاً حضارياً، ويستدلّ على فكرته هذه بقوله:" هي نتاج فكرة حية تطبع على مجتمع في مرحلة ما قبل التحضر، الدفعة التي تجعله يدخل التاريخ، فيبني هذا المجتمع نظامه الفكري والثقافي طبقاً للنموذج المثالي الذي اختاره، وعلى هذا تتأصل جذوره في محيط ثقافي أصيل تتحكم بدوره في جميع خصائصه التي تميزه عن الثقافات الأخرى، والحضارات الأخرى"[1].

كما يقول في موطن آخر" بأنّ الحضارة هي نتيجة حركة تاريخية وتطورية نحو الرّقي وهي نتيجة جهد يبذل ماديا وفكريا"[2]، فهذا يدل على أن ليس لكل مجتمع يمكنه أن يواكب ويساير هذه الحضارة دون عناء وجهد يبذل، بل لابد أن يمتلك جملة من القجرات اللّغوية والملكات الفكرية (استعدادات فكرية) حتّى يحقق هذا النمو والرقي.

يرى الأستاذ مالك أن الحضارة لا تستقر في مكان واحد في الأرض، كما أنها لا تتمركز في رقعة جغرافية معينة، أو عند شعب معين، بل تسير وتتحرك من مكان لآخر، ومن شعب لآخر شأنها شأن الثقافة التي لا تخص طبقة دون أخرى، وإنّما تخص جميع الطبقات دون تمييز كما سبق الذكر، وهذا ما يظهر في قوله: " لأن الحضارة تسير كما تسير الشمس، فكأنها تدور حول الأرض مشرقة في أفق هذا الشعب، ثم متحولة إلى أفق شعب آخر"[3].

ومن خلال هذا العرض لمفهوم الحضارة عند مالك بن نبي نتبين أنه قد عرفها من خلال ثلاثة مستويات، فتعريفه لها من حيث تركيب عناصرها، يشير إلى النظرة النشوئية

---

[1] **مالك بن نبي، مشكلة الأفكار، تر. بسام بركة، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط.1، 1988، ص.49.**

[2] **آمنة تشيكو، المرجع السابق،ص.124.**

[3] **مالك بن نبي، شروط النهضة، تر : عبد الصبور شاهين، دار الفكر للطباعة والفكر والتوزيع والنشر، دمشق، 1986، ص.73.**

التكوينية، وتعريفه لها من حيث وظيفتها، يشير إلى النظرة الوظيفية، وتعريفه لها من الناحية التاريخية يشير إلى النظرة التاريخية التطورية البيانية.

حيث يتحدّث "مالك بن نبي" عن الملكة اللّسانية حيث هي خاصية انسانية وقدرة الفرد على تحصيلها والتفاعل بها، وذلك باعتبار أنّ الله سبحانه وتعالى قد ميّز الانسان بميزة العقل، وميّزه عن باقي الكائنات الحية الأخرى، وهذا ما يظهر في قوله: "فالله سبحانه، عزّ وجل، قدّر لكل خلق في أحسن تقوييم، وقد أحسن تقويمهم ليسيروا طبق سنن معينة تحقق حاجاتهم البسيطة والمعقدة لضمان بقائهم، فقدّر للحيوان مجموعة من الغرائز تتكفل ضمان حياته، لكن عزّ وجل فضّل الإنسان بشيء هو العقل يتصرّف به لضمان حاجاته في العيش اليومي، وفي مراحل التاريخ، لكنه إذا وصل مجتمع ما في طور من تاريخه إلى تعطيل نشاطه الفكري بحجج واهية كتلك الحجج التي كنّا قبل أربعين عاما أو نصف قرن نسمعها في الجزائر مثلا، كما هي قائمة يجري مفعولها على القول في البلاد الإسلامية كافة، وذلك فيما يخص القرآن الكريم تفسيرا لآياته، إذ أصبحوا يعلقون على كل اجتهاد في تفسير القرآن الكريم بكلمة تحد من كل نشاط، وتعطل العقل باعتباره شيئا غير ضروري وغير لازم في الحياة البشرية"[1]، إنّهم يقولون : أن الاجتهاد في تفسير القرآن خطأ والخطأ كفر، وهذا يعني وقف وسدّ باب الاجتهاد وتعطيل الفكر نهائيا.

"فإذا أردنا أن ندرك مدى خطورة هذا التعطيل يجب أن نقارنه بتعطيل آخر. لنفترض أن الحيوانات لها أصوات ولها مجموعات وتتحاور فيما بينها عن شؤونهم وقد أشار عليهم

[1] **ابن نبي، مجالس دمشق، دار الفكر، دمشق، ط.1، 2005، ص.52.**

بعضهم أن يعطلوا غرائزهم، تُرى من يتكفل لهذه الحيوانات شروط حياتهم إذ تعطّلت غرائزهم[1]؟".

" هكذا نحن نكون قد قررنا بإجماع ضمني تعطي اجتهادنا في نشاطنا الفكري ونشاطنا الدنيوي والآخروي"[2].

إنّ المتمعن جيّدا في الكلام الذي صرّح به "بن نبي" يجد أنّه اهتمّ بالملكة اللسانية من حيث هي خاصية إنسانية، لأن الله عزّ وجل ميز الإنسان عن باقي الكائنات الأخرى بميزة العقل التي بها يستطيع تحصيل اللغة واستخدامها في حياته اليومية وتمييز من حيث فسادها أو جودتها، وبهذا يمكن الإستنتاج بأن "مالك بن نبي" اعتبر عنصر الثقافة عنصرا فعّالا في حصول الملكة اللغوية لدى الفرد، إلى جانب البيئة التي اعتبرها بمثابة الوحم بالنسبة للقيم الثقافية.

[1]ابن نبي،المرجع السابق، الصفحة السابقة.

[2]المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

3-3- دراسة مقارنة:

أوّلاً : أوجه التشابه:

1- يتّفق كل من "ابن خلدون" و"بن نبي" في نقطة مفادها أنّ حصول الملكة يكون نفسه عند جميع البشر، فيقول "ابن خلدون": "اللّغات كلها ملكات شبيهة بالصّناعة"[1]، في حين يصرّح "بن نبي" بأنّ "اللّغات شبيهة بالثقافة التي تصبح عالقة بالأذهان"[2].

2 -إذا كان "ابن خلدون" يرى أنّ الملكة تحصل نتيجة التّكرار وهذا ما صرّح به في قوله: "والملكة صفة راسخة تحصل من استعمال الفعل وتكرّره مرّة بعد أخرى، وحتّى ترسخ صورته وعلى نسبة الأصل تكون الملكة"[3]، فإنّ "ابن نبي" يرى بأنّ تكوين الملكة لدى الفرد يعود للعنصر الفعّال ألا وهو البيئة، ويقول في هذا المقام: "فالبيئة بمثابة الرّحم بالنسبة إلى القيم الثقافية، بحيث يمكن أن نعتبر الثقافة نفسها كبيئة مكوّنة من الألوان والأصوات، والأشكال والحركات ،والأشياء المأنوسة والمناظر والصّور، والأفكار المتفشية في كل اتّجاه"[4].

3-يتّفق "ابن خلدون" و" بن نبي" في كون الملكة اللّسانية تتعرّض للقصور والفساد، ف"ابن خلدون " يبرز بعض العوامل التي تؤثّر في هذه الملكة، كعامل الاختلاط، والعجمة، وتزاحم اللّغات، أمّا "بن نبي" فقد تحدّث عن أمراض الكلام، التي تؤدي إلى خسائر في الرّصيد اللّغوي، والاستغناء عن بعض الأصوات اللّغوية، نتيجة لهذا المرض.

---

[1] ابن خلدون، المقدمة، ص.476.

[2] بن نبي،مجالس دمشق، ص.92.

[3] ابن خلدون، المقدمة، ص.856.

[4] بن نبي،آفاق جزائرية، ص.125.

4-يتّفق "ابن خلدون" مع "بن نبي" في مصطلح "الثقافة" حين يراه بأنّه "مصطلح يرادف مصطلحه الخاص ألا وهو "الصناعة"، صناعة النحو، صناعة الفقه، صناعة الطب ...إلخ، فكل فن أو تقنية كما نسميها اليوم يسميه "ابن خلدون" صناعة، وأحيانا يجمع مجموعة الصناعات (أي ما نسميه اليوم تكنولوجيا) بكلمة ثقافة، إنّما مدلولها اليوم قد اتسع أكثر من ذلك بكثير"[1].

5- إنّ نقطة التقاء "ابن خلدون" و"بن نبي" تتمثّل في عنصر البيئة، فكلاهما يقرّان بأنّ حصول الملكة اللسانية تستنبط من هذا العنصر، وهذا ما صرّح به "ابن خلدون" في قوله: "والمتكلّم حين يستعمل اللغة، فإنّه يلجأ إلى ما يطلق عليه (محاكاة النظير) أي أنّه يتكلّم اعتمادا على مخزونه الذي اختزنه في ذهنه ممّا اكتسبه من نظم البيئة اللغوية التي يعيش فيها"[2]، أمّا " بن نبي" فقد تبنى المسلّمة القائلة بأن البيئة مرآة عاكسة للفرد، فمن خلالها يحصل على الملكة اللسانية.

[1] **بن نبي،مجالس دمشق، ص.92.**

[2] **ابن خلدون، المقدمة، ص.1277.**

ثانياً: أوجه الاختلاف:

1- لقد تطرّق "ابن خلدون" للتمييز بين الملكة والنحو، فيقول في صناعة العربية وقوانين الإعراب:"إنّما هي معرفة قوانين هذه الملكة ومقاييسها خاصة، فهي علم بكيفية لا نفس الكيفية"[1]، وهذا ما لم يظهر إطلاقا عند "بن نبي" في حديثه عن الملكة.

2- إنّ الملاحظ جيّدا في آراء "ابن خلدون" يجد بأنّه قد وضع ثنائيات وفرّق بينهما، إذ فرّق بين "الملكة والطّبع"، ويكمن الفرق في أنّ "الملكة تكون قبل اكتسابها أمرا شعوريا، وبعد اكتسابها تكون لا شعورية، في حين يكون الطبع منذ بدايته غير شعوري، باعتباره فطري ولد مع الإنسان"[2]، كما فرّق أيضا بين "الكلام واللغة" فالكلام من خواص الفرد واللغة من خواص الجماعة، الكلام هو نشاط حيّ فيه جدّة الاستعمال وحيويته، واللغة نظم مجمّدة في قواميس وكتب النحو والصرف وفرّق أيضا بين "الملكة والتّأدية " في قوله :" الملكة هي معرفة المتكلم، السّامع للغته، وأمّا التأدية فهو الاستعمال الفعاّل للغة في مواقف مادية وواضحة"[3]، إذن فالتأدية هي ممارسة فعلية وآنية للملكة على حد تعبير "ابن خلدون"، على عكس تماما "بن نبي" التي كانت مجمل دراساته تصب في الثقافة والبيئة وكيفية استعداد المجتمعات لتأدية ملكة اللغة.

3- يقرّ "ابن خلدون" بأنّ تمام الملكة، إنّما هو النظر إلى التراكيب اللغوية، لا بالنظر إلى المفردات، وذلك لأن اللغات كلّها ملكات، للتعبير عن المعاني وبالتالي إيصال المعنى لا يتم باللفظ المفرد، وإنّما يكون بالتركيب المؤلفة من الألفاظ، فهو يقول:" أعلم أنّ اللغات

---

[1] **ابن خلدون، المرجع السابق، ص.1275.**

[2] **المرجع نفسه،ص.1149.**

[3] **المرجع نفسه،ص.577.**

كلها ملكات شبيهة بالصناعة، إذ هي ملكات في اللسان للتعبير عن المعاني وجودتها و قصورها بحسب تمام الملكة أو نقصانها، وليس ذلك بالنظر إلى المفردات و إنّما بالنظر إلى التراكيب"[1]، وهذا مالم يرد في دراسات "بن نبي".

4- إذا كان "ابن خلدون" يتّفق مع "بن نبي" في تعريفهما للغة كونها ملكة، فإنّهما يختلفان تماما في كون هذه الملكة "صناعية تكتسب بالتكرار ، عند "ابن خلدون" ،"وأنّها مجموعة من القيم الثقافية التي تتكون بفعل البيئة"[2]، عند "بن نبي".

5- "ابن خلدون" قد تبنّى المذهب الكسبي لحصول الملكة اللسانية الذي يركز على نقطة السّماع باعتبار أنّ: "السّماع أبو الملكات اللسانية"[3]، في حين "بن نبي" قد تبنى المذهب الطبيعي في دراساته الذي يركز على أن البيئة هي المنتج الأساسي للملكة.

[1] **ابن خلدون،المرجع السابق، ص.1140.**

[2] **المرجع نفسه، ص.560.**

[3] **المرجع نفسه، ص.546.**

خاتمة

الخـــاتمـــــة :

انطوى البحث على دراسة ظاهرة لغوية توجد في أي مجتمع من المجتمعات، ألا وهي الملكة اللسانية واكتساب اللغة، وفي هذا الإطار، كانت هذه الدراسة المتواضعة التي حاولنا من خلالها الوقوف على أهم ما جاء عن مفهوم الملكة اللسانية عند كل من "مالك بن نبي" و"ابن خلدون"، و هذا الأخير يعتبر مؤسسها وأوّل من تناول هذه الظاهرة، وقد ختمها "ابن نبي" بالمفهوم الحديث والمعاصر لمعنى الملكة، وعليه فرغم هذا البحث الطويل، وما تطلبه من جهد وعمل كبيرين، إلاّ أنّ التعمق في الملكة اللسانية يفتح مجالات أخرى لبحوث مختلفة، فلا يمكن أن تحصر في فصل واحد أو اثنين ، وإنّما البحث فيه مجال واسع وشاسع لكل من يريد أن يغرف من منابعه ويغوص في أعماقه .

من خلال كل ما تقدّم، يجب الوقوف على أهم النتائج المتوصل إليها لكل من "مالك بن نبي" و"ابن خلدون"، التي يمكن حوصلتها فيما يلي :

1. تقارب دلالة لفظ الملكة في الاستعمال المعجمي وكذا الاصطلاحي .
2. هناك أساليب اعتمدها القدامى في دراستهم للملكة والتي يمكن الأخذ بها في بناء الملكة في العصر الحديث .
3. تطرق " ابن خلدون " لتعريف الملكة بصفة عامة، وللملكة اللسانية بصفة خاصة.
4. يمكن القول والجزم أن كلا من المفكرين العربيين تطرقا إلى مفهوم الملكة واكتسابها حسب فطرتهما الفكرية التي فطرا عليها فكريا، تاريخيا واجتماعيا وثقافيا وحضاريا وروحيا ، الذي كان فكرهما ألصق وأقرب للواقع الاجتماعي آنذاك .
5. كان "ابن خلدون" أكثر تفصيلا وتحليلا لهذه الملكة ، وعن كيفية حصولها، وأهمية الملكة اللسانية في حفظ اللغة السليمة ونقلها من جيل إلى جيل، إذن فيمكن الجزم أن "ابن خلدون" هو المؤسس الحقيقي لنظرية الملكة اللسانية .

6. هناك تقارب بين "ابن خلدون و"مالك بن نبي " في أخذهما لمفهوم الملكة، إلاّ أنّ الاختلاف ظاهر وجلي، فهي عند "ابن خلدون" تكون بالتكرار والمران، أمّا عند "مالك بن نبي" فتكون في الثقافة والحضارة .
7. لقد "أبرز مالك بن نبي" أهمية عامل الملكة كسبب في الحفاظ على الخاصيات الرفيعة للحضارات الراقية، ونقلها من حضارة لأخرى .
8. يتفق "ابن خلدون" و"بن نبي" في حفظ الملكة و نقلها من جيل إلى جيل .
9. يتفقان على الجانب الإبداعي للملكة، وأنّ اكتساب الملكة يأتي على مراحل وليس دفعة واحدة .
10. كلاهما صرحا بجودة ورفعة الملكة من جهة، وفسادها وقصورها من جهة أخرى .

وبعد كل ما قيل، في هذا البحث المتواضع عن مفهوم الملكة لدى كل من "ابن نبي" و"ابن خلدون" إلاّ أنّه يبقى أنّ هناك جوانب جديرة بالوقوف عندها فيما يتعلق بمفهوم الملكة عندهما.

قائمة المصادر والمراجع:

- **المصـــــــــــادر:**

***القــرآن الكريـــم.**

- **المراجـــــــــــع:**

أ- باللــغة العــربية:

1. ابـــن جنـــي، الخصـــائص، دار الهـــدى للطباعـــة والنشـــر، ج.3، ط.2، (د. ت)، بيروت، ص.273.

2. ابن خلدون عبد الرحمان بن محمّد :

- **العبـــر وديـــوان المبتـــدأ والخبر،مقدمـــة المحقـــق، دارالكتـــب العلميـــة، ط.1، بيروت، لبنان.**
- **الـــمقدمة، دراســـة أحمـــد الزعيبـــي ، شـــركة در الأرقـــم بـــن أبـــي الأرقـــم للطباعـــة والنشر، بيروت، لبنان،(د.ط)،(د.تح).**

3. ابـــن ســـينا، البرهـــان مـــن كتـــاب الشـــفاء،الهيئة المصـــرية العامـــة للكتـــاب، 1983م .

4. ابن منظور، لسان العرب، مج. 14، دار صادر،بيروت، ط.1، 2000م.

5. ابن نبي:

- **شـــروط النهضـــة، تـــر : عبـــد الصـــبور شـــاهين، دار الفكـــر للطباعـــة والفكـــر والتوزيع والنشر، دمشق، 1986م.**
- **مذكـــــــرات شاهـــــد القـــرن، دار الفكر، دمشق، ط.1، 1971م**
- **مـــذكرات شـــاهد للقـــرن(الطالـــب)، دار الفكـــر للطباعـــة والتوزيـــع والنشـــر، دمشـــق، ط.1، 1971.**

- مشكلة الأفكار، تر: د. بسام بركة، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط.1، 1988م.
- مشكلة الثقافة،تر.عبد الصبور شاهين،دار الفكر،دمشق، ط.4، 1984م.

6. أحمد مختار عمر، معجم اللّغة العربية العاصرة، مج. 4، عالم الكتاب، ط.1،القاهرة، 2008م
7. إخوان الصفا،رسائل إخوان الصفا و خلان الوفاء، ج.4، بيروت للطباعة والنشر،بيروت، 1983م.
8. بوقرّة نعمان ، محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة، مكتبة الآداب،جامعة عنابة،الجزائر، 2006م.
9. تشيكو آمنة ، مفهوم الحضارة عند مالك بن نبي وأرنولد تويهي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1989.
10. التوحيدي أبو حيان ، الامتناع والمؤانسة،ج.3،دار مكتبة الحياة، (د .ط)، (د.ت)،2004م .
11. جون ديوي، قاموس جون ديوي للتربية،(مختارات من مؤلفاته)، تر. محمد علي العريان، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر، 1964م.
12. الحصري ساطع ، دراسات عن مقدمة ابن خلدون، دار الكاتب العربي، بيروت، 1967 م.
13. دوجلاس هـ. براون، أسس تعلم اللغة وتعليمها، تر.عبده الراجحي،علي أحمد شعبان، دار النهضة العربية للطباعة والنشر،بيروت، لبنان، 1994م.
14. الراجحي عبده ،علم اللغة التطبيقي وتعليم العربية، دار المعرفة الجامعية،الإسكندرية،(د.ط)، 2000م.
15. الرّازي محمد بن أبي بكر بن عبد القادر ، مختار الصحاح، مكتبة لبنان، بيروت، 1986م.

16. ريشل مارك ، اكتساب اللغة، تر.كمال بكداش، المؤسسة الجامعية للنشر والتوزيع، لبنان،1984 م.

17. الزبيدي السيد محمد مرتضى الحسيني ، تاج العروس،ج.27، تح. مصطفى حجازي،سلسلة تصدرها وزارة الاعلام والاتصال في الكويت، التراث العربي، 1993م.

18. زكريا ميشال :

- مباحث في النظرية الألسنية،المؤسسات الجامعية للدراسات والنشر، بيروت،(ط.2)، 1985م.
- الألسنية التوليدية التحويلية و قواعد اللغة العربية،المؤسسة الجامعة للدراسات والنشر والتوزيع،بيروت، ط.2، 1986م.
- قضايا ألسنية تطبيقية،دراسات لغوية اجتماعية مقارنة تراثية، دار العلم للملايين، بيروت، ط .1، 1993م.
- مباحث في النظرية الألسنية وتعليم اللغة، المؤسسة الجامعية للدراسة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط.1، 1981م.

19. السحمراني أسعد ، مالك بن نبي مفكرا إصلاحيا، مطبعة النفائس، بيروت،ط.2 ،1984 م.

20. السعران محمود ، اللغة والمجتمع، دار الفكر العربي، القاهرة، (د.ط)،1992م.

21. الشرقاوي السيد:

- الملكة اللّغوية في الفكر اللّغوي العربي،مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، ط.1، القاهرة، 2002.
- الملكة اللغوية في الفكر اللغوي العربي،مؤسسة المختار للنشر والتوزيع،ط.1، القاهرة،2002 م.

22. صالح العلي صالح ،أمينة الشيخ سليمان الأحمد، المعجم الصافي في اللّغة العربية،غزة، محرم، 1401هـ.

23. عاقل فاخر ، معجم علم النفس،ط.3، ،دار العلم للملايين، بيروت، 1986م.

24. العبدة محمد ، مالك بن نبي مفكر اجتماعي ورائد اصلاحي، دار القلم، دمشق، ط.2006،1م.

25. العلوي شفيقة ، محاضرات في المدارس اللّسانية المعاصرة، ط.1، ، بيروت، لبنان، 2004م.

26. العيدة محمد ،الملكة اللسانية في نظر ابن خلدون، عالم الكتب، (د.ط)، القاهرة، 1979م.

27. غلفان مصطفى ، في اللسانيات العامة، دار الكتاب الجديد، المتحدة، بيروت، ط.1، 2010م .

28. الفارابي،الحروف،تح.محسن مهدي، دار المشرق، بيروت، 1970م.

29. الفيروز أبادي، قاموس المحيط، ج. 3، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1979م.

30. المسدي عبد السلام ، التفكير اللساني في الحضارة العربية،الدار العربية للكتاب،ط.1 ، ليبيا،1981م.

31. معجم الوسيط، مجمع اللّغة العربية،مكتبة الشروق الدّولية، ط.4، 2005م.

32. معلوف لويس ، المنجد في اللّغة، الطبعة الجديدة، الطبعة الكاثوليكية،ط.5، بيروت، 1967م.

33. مومن أحمد ، اللسانيات النشأة والتطور، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، (د.ط)، 2002.

ب- باللـّغة الأجـنبيـة:

1. Jean dubois : Dictionnaire de linguistique et des sciences du langage, Larousse. Paris, 1994, art . compétence. p.100.

المجلاّت والدّوريات:

1. صـــادق عبـــد الله أبـــو ســـليمان،كيف يكتســـب الطفـــل اللّغـــة، مجلـــة التربيـــة، الدوحة، قطر،العدد 97، يوليو 1991.
2. ضـــيف بشـــير الله، فلســـفة الحضـــارة فـــي فكـــر مالـــك بـــن نبـــي، مجلـــة أصـــوات الشمال، العدد 42، الجزائر، 2005م.

مواقع الأنترنيت:

1. إبراهيم أبو شريعة، آراء المفكرين في ابن خلدون، 2008، www.startimes.com/ ?=1364691

الفهـــــــــــــرس

مقدمـــــــــــــة.

الفصل الأول: ماهية الملكة اللسانية.....3

1- **مفهوم الملكة اللّسانيـــة**.....3

1-1-لغـــــــــةً.....3

1-2-اصطلاحا.....10

2- اكتساب اللّغة:.....16

2-1-في الفكر العربـــــي القديـــم.....17

2-2-في النّظريات الغربية الحديـــثة.....22

الفصل الثّاني: الجانب التطبـــــيقي.....**29**

1- السيرة الذاتية لابن خلدون وآراء العلماء فيه.....29

1-1-السيرة الذاتية لابن خلدون.....29

1-2-آراء العلماء فيه.....33

2- السيرة الذاتية لابن نبي وآراء العلماء فيه.....35

2-1-السيرة الذاتية لابن نبي.....35

2-2-آراء العلماء فه.....38

3- الملكة اللّسانية عند ابن خلدون ومالك بن نبي 39

3-1-الملكة اللّسانية عند ابن خلدون.....41

3-2-الملكة اللسانية عند مالك بن نبي 50

3-3-دراسة مقارنة.....57

الخاتمـــــــــة.....61

قائمة المصادر والمراجع.....63